

تاريخ الإرسال (2019-09-04)، تاريخ قبول النشر (2019-11-23)

د. غسان عيسى هرماس

اسم الباحث:*

التربية الإسلامية - كلية العلوم التربوية - جامعة
القدس المفتوحة - فلسطين.

اسم الجامعة والبلد:

* البريد الإلكتروني للباحث المرسل:

E-mail address:

Ghermas@qou.edu

منهج عمر بن الخطاب رضي الله عنه في محاربة المجاعة، دراسة موضوعية في ضوء الآثار الواردة في "عام الرمادة"

الملخص:

لعل من أشد ما يواجهه الناس في أيامنا هذه المجاعات، وهي تنتقل من دولة إلى أخرى، بسبب القحط تارة، وبفعل الإنسان وقسوته تارة أخرى، ونتيجة لذلك يموت ملايين البشر دون أدنى انتباه أو التفات، الأمر الذي حملني على الكتابة في هذا الموضوع الخطير، ومحاولة الكشف عن منهج أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في دفع غائلة المجاعة التي ألمت بالمسلمين في زمانه، وقد سمت بحثي بـ (منهج عمر بن الخطاب رضي الله عنه في محاربة المجاعة، دراسة موضوعية في ضوء الآثار الواردة في "عام الرمادة").

واتبعت فيه المنهج التاريخي لملاءمته هذا النوع من الأبحاث، وجعلته في مقدمة وستة مباحث: الأول: الإلزامات الخاصة، الثاني: التدابير العامة، الثالث: العون الخارجي والداخلي، الرابع: الخطوات الاحترازية، والخامس: مفاتيح الإغاثة، والسادس: خلايا الأزمة.

وختمته بجملة من النتائج والتوصيات، أهمها: أنه لمواجهة المجاعات لا بد لها من تضافر الجهود بين الحكومة والشعب، وبين الحكومات بعضها مع بعض، مع الاستعداد المبكر، إضافة إلى الصدق والإخلاص وحسن التوكل على الله.

كلمات مفتاحية: منهج، عمر بن الخطاب، المجاعة، عام الرمادة.

(Omar bin AlKhattab approach in fighting famine: an objective study of what occurred in the year of Ramadah)

Abstract:

Nowadays famine is one of the most severe problems that people face as it moves from one country to another and it is due to either draught or human cruelty. Consequently , millions of people die with no attention, which made me write about this serious issue. Here I intend to uncover the approach that Omar bin AlKhattab, Commander of the faithful, followed in resolving the famine phenomenon at his time. My current research is entitled;" Omar bin AlKhattab approach in fighting famine: an objective study of what occurred in the year of Ramadah."

The study which followed the historical approach included an introduction and six chapters: Chapter One is about the basic requirements, Chapter Two is about the general requirements , Chapter Three is about external and internal assistance , Chapter Four included the precautionary steps, Chapter Five is relief, and Chapter six is Crisis Groups . The necessity of early cooperation between the government and its people and the governments themselves as well as the good intentions to work hard and reliance on Allah are among the study results.

Keywords: approach, Omar bin AlKhattab , famine , the year of Ramadah

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين وبعد: فقد كانت الجيوش الإسلامية تلك الممالك تلو الممالك، وتطيح بعروش كسرى وقيصر، وتحيل بلادهم إلى ولايات إسلامية، ذات غالبية تدين بالوحدانية لله تعالى. وأوشك العام السابع عشر على الانقضاء، ولاحت أيامه الأخيرة بعدما عاد كل حاجٍ إلى أهله وذويه، يحمل في سقائه ماء زمزم، وفي خُرجه ما جَمَلَ من متاع الحج وهداياهم. ولم تكد تلك الأيام القليلة من ذي الحجة تنقضي حتى أدرك الناس أن ضيِّفًا كريهًا قد أقبل، وطارقًا قبيحًا قد طرق، ومحنة عظيمة أَلقت بأوزارها في بلادهم وبيوتهم.

كان ذلك الطارق بداية المجاعة التي حلت بجزيرة العرب وأحالت الأرض سوداء مُربِدةً طوال تسعة أشهر، حتى عرف ذلك العام بعام الرمادة، وفيه أجدبت الأرض وهلكت الماشية ونفدت الأقوات، حتى لم يجد الناس ما يأكلونه، فأكلوا جلد الميتة، واستنقوا مسحوق العظام.

وأقبل الأعراب وأهل النواحي صَوَّب المدينة يرجون الحياة لدى خليفتهم العادل، وعمر -رضي الله عنه- مدرسة شاملة يمكن للأمة أن تستلهم من دقائق حياته وسيرته دروسًا وعبرًا تضيء لها حالك أيامها في كل حين. وقصته في عام الرمادة، ومنهجه الذي اختطه لنفسه، وأوامره التي أمر بها أعوانه ومساعديه في تلك المحنة، دليل رُشِدٍ وخير للمسلمين، بل لكل زعيمٍ وأمةٍ تخلُّ بها مجاعة، أو تنزلُ بساحتها رزِيَّةً.

مشكلة البحث: تكمن المشكلة في ذلك العور أو العمى الذي يَتَبَسُّ الناسَ حكامًا ومحكومين عند نزول البلايا والرزايا بعامه الناس حتى يفنى في بعضها ملايين البشر، ولا من أُنْذِنَ تسمعُ، ولا قلبٌ يحزن، والكُلُّ ينظرون ويشاهدون، ولا يفعلون ما يستطيعون، فهل سبب هذا الضياع الحاكم؟ أم المحكوم؟ أم غياب السبيل والمنهج؟

أسباب البحث: مما دعاني للكتابة في هذا الموضوع تلك المحن التي يعاني منها المسلمون، خاصة ما له تعلق بالمجاعات، والتي يتتابع دَفْقُها على المسلمين خاصة، وتتوالى على إثر بعضها، وما خبر اليمن السعيد وما يجري فيه، وسوريا وما ألمَّ بها، وما يواجهه مسلمو الروهنغا من قتل وتهجير ومجاعة، وغير ذلك من الأزمات التي تعصف بالمسلمين في كافة أصقاع الأرض، ببعيد عن الأذهان، ومن قبل مجاعة الصومال (سنة 2011م)، التي لم تغادر بعد الذاكرة، وصورها لا زالت تحرق المشاعر والأعصاب، ويقف المرء أمامها حائرًا، طائرَ اللب مهزوم الضمير، متسائلًا: أحدث هذا في قرن الحضارة والتقدم وحقوق الإنسان؟ **أهداف البحث:** لقد رأيت أن أنفذ من الحاضر المؤلم إلى الماضي المشرق، أستلهم منه سبل الرشاد، وطرق النجاة، من مجاعات البلاد، وضیعة العباد، في زمن أقفر فيه كثير من الخلق من معاني المروءة، ومفاهيم الأخلاق والرجولة.

ورأيت أن أسجِّل ما يبسر الله لي من كلمات تفرغُ أَسْمَاعَ الغافلين من عامة وخاصة، وحكام ومحكومين، وتذهب غفوة الراقدين، وتذكِّر المتقاعسين بأنهم إن قصدوا فتكوا بالجوع، ونفوه من ديار المسلمين، بل من الدنيا كلها، فثريُّ واحد، يستطيع بسهولة أن يقضي على جُوعَة الصوماليين، وسعْبِ الأفارقة المعدمين، وله فوق الذكر الحسن، أجرُ رب العالمين، وصحبة النبي الأمين، وكل نعيم مقيم.

حدود البحث: انحصر بحثي ضمن حدود شخصية عمر بن الخطاب رضي الله عنه فحسب، ثم الطرق التي سلكها في عام الرمادة خاصة، لمواجهة المجاعة التي ألمت بالمسلمين في جزيرة العرب، ولم أتجاوز ذلك إلى جملة التدابير الإدارية والاقتصادية طوال خلافته رضي الله عنه.

منهج البحث: اتبعت في بحثي هذا المنهج التاريخي لأنه أكثر المناهج ملاءمة لهذا النوع من الأبحاث.

خطة البحث: وقد جعلت بحثي هذا في مقدمة وستة مباحث، وخاتمة، والمباحث الستة هي:

المبحث الأول: الإلزامات الخاصة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سرد الصوم والأكل مع الناس.

المطلب الثاني: ترفعه عن لذيذ الطعام، وتركه للمسلمين.

المطلب الثالث: تنزيهه أهله عن لذيذ الطعام.

المبحث الثاني: التدابير العامة، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مخيمات اللاجئين، وإيواء الوافدين وإطعامهم.

المطلب الثاني: توزيع الطعام خارج المدينة.

المطلب الثالث: الإنسان أولى من البهائم.

المبحث الثالث: العون الخارجي والداخلي، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: العون الخارجي.

المطلب الثاني: العون الداخلي.

المبحث الرابع: الخطوات الاحترازية.

المطلب الأول: تأخير جبي الزكاة.

المطلب الثاني: عدم قطع يد السارق.

المطلب الثالث: توزيع الفقراء على الأسر التي تجد كفايتها.

المبحث الخامس: مفاتيح الإغاثة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: الدعاء والاستغفار.

المطلب الثاني: صلاة الاستسقاء.

المبحث السادس: خلايا الأزمة (الفرق العاملة لتفكيك محنة المجاعة).

وأنهيت بحثي بخاتمة ضمنيتها جملة من النتائج والتوصيات، وختمته بقائمة للمصادر والمراجع.

إجراءات البحث: وقد التزمت في بحثي هذا الخطوات التالية:

- 1- اعتمدت اعتماداً رئيساً على مرويات الرمادة عند ابن سعد في كتابه الطبقات الكبرى، إذ هو الأصل في هذا الموضوع، وكل من جاء بعده نقل عنه.
- 2- وقد ضمنت إليها ما تيسر لي من روايات أخرى، مما ورد في كتب الآخرين، لجمع أطراف الموضوع وتمامه.
- 3- لم أبين حكم الروايات التي أنقلها من حيث الصحة والضعف، إلا ما دعت له الضرورة أو كان حديثاً عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، إذ أن أخبار عام الرمادة لا تخرج عن كونها أخباراً، وقد جرت عادة المحدثين على التساهل في أخبار التاريخ، ثم هي لا تخرج عن كونها اجتهادات بشرية في مواجهة أزمة معينة، فإن أصاب صاحبها فله أجران وإن أخطأ فله أجر.
- 4- ما كان من الروايات والأحاديث النبوية في الصحيحين أو أحدهما عزوته إليهما، غير مبين حكمه، مكتفياً بذلك لتلقي الأمة لهما بالقبول.
- 5- ما كان من الأحاديث النبوية في غير الصحيحين عزوته إلى مصدره، وذكرت حكمه من حيث الصحة أو الضعف.
- 6- رددت الآثار، ومنها أقوال الصحابة والتابعين إلى مصادرها الأصلية.
- 7- بيّنتُ غريب ألفاظ النصوص الواردة في ثنايا البحث، واستللت معانيها من معاجم اللغة وكتب غريب الحديث.

الدراسات السابقة: قدمت القول أن أقدم وأوسع من جمع روايات عام الرمادة هو ابن سعد في كتابه الطبقات الكبرى، لكنه أوردها غير مرتبة، ولا معلق عليها، وعهدي بهذا الموضوع أن أحدًا قبلي لم يفرد بهذا النوع من الدراسة، إلا ما كان من لمسات خفيفة وتعليقات لطيفة على بعض أحداث عام الرمادة في بعض المصنفات، أو بعض المقالات التي تتناول سيرة الخليفة الراشد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، أو الحديث عن الجوع والمجاعة والفقر، وهي منتشرة على الشبكة العنكبوتية، إلا أنها جميعها لا تتناول منهج عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مواجهة المجاعة، لذا أحببت الكتابة فيه. والله أسأل البركة والخير والتوفيق، والحمد لله رب العالمين

المبحث الأول

الإلزامات الخاصة

لعل من أبرز أساليب التربية وأعظمها تأثيرًا في الآخرين أسلوب القدوة، وهو ما نبّه إليه المولى عز وجل في قوله تعالى: {لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا} [الأحزاب: 21]، وإذا كان قدوتنا التي نعتز بها وننتمي إليها كمسلمين في جميع حياتنا هو النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فإن النبي عليه الصلاة والسلام لم يترك الدنيا حتى جعل لنا من بعده قدوات نتأسى بها، فقال: "أوصيكم بنقوى الله والسَّمْعِ والطَّاعَةِ، وَإِنُّ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ يَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا ضَلَالَةٌ فَمَنْ أَدْرَكَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَعَلَيْهِ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهَدَّبِينَ، عَضُوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ"¹، فكان كل من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم خليفة وقدوة للمسلمين بعد نبيهم صلى الله عليه وسلم.

ومن المعلوم أن من أبرز القدوات في حياة الناس: العلماء والأمرء، وهو ما صرح به سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ إذ يَقُولُ: "صِنْفَانِ مِنَ النَّاسِ إِذَا صَلَحَا صَلَحَ النَّاسُ: الْقُرَاءُ، وَالْأَمْرَاءُ"².

وعمر رضي الله عنه خير من يفقه ذلك، وهو يَعْلَمُ أَنَّ الإِمَارَةَ مَغْرَمٌ لَا مَغْنَمَ إِلَّا مَنْ قَامَ بِحَقِّهَا، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي ذر رضي الله عنه حينما طلبها: "يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَزْرِي وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا"³، وقد وصلت إلى عمر رضي الله عنه دون طلب منه، فهل يقوم بحققها، أم يَعُدُّهَا مَغْنَمًا فَيَهْتَبِلُ كُلَّ فُرْصَةٍ سَانِحَةٍ، ويلهتُ خَلْفَ كُلِّ رِيحٍ عَاجِلٍ، لِيُضَيِّعَ أُخْرَاهُ، ويهدم ما بناه.

لقد قام طوال ست سنوات سابقة بهذا الأمر على خير وجه، فهل يَنْكُصُ اليوم على عقبيه، لذا أَعَدُّ لهذا الأمر الطارئ عُدَّتَهُ، وبدأ بنفسه قبل غيره، فما كان لِيُكَلِّفَ النَّاسَ أَمْرًا لَا يُقِيمُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وهو الذي توعددهم لما ولي الخليفة بمضاعفة العقوبة لمن أتى منهم أمرًا نهى الناس عنه، فهو وأهله قدوة للناس، لذلك بدأ مواجهة القحط بجملة من الإلزامات الخاصة التي ألزمها نفسه وأهل بيته، ولم يُجَلِّ بها طوال زمن المجاعة.

وقد جعلتها في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سَرْدُ الصَّوْمِ، وَالْأَكْلُ مَعَ النَّاسِ.

¹ [الترمذي: سنن الترمذي، العلم/ ما جاء في الأخذ بالسنة، 341/4 : رقم الحديث 2676]. [ابن ماجه: سنن ابن ماجه، افتتاح الكتاب في الإيمان وفضائل الصحابة/ إتباع سنة الخلفاء الراشدين، 15/1: رقم الحديث 42]. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

² [الدينوري: المجالسة وجواهر العلم، 308/2: رقم الحديث 469]، [الأصفهاني: حلية الأولياء، 5/7]، وقد رواه مرفوعًا من طريق ابن عباس رضي الله عنهما: [تمام الرازي: الفوائد، 196/2: رقم الحديث 1516]، و[الأصفهاني: حلية الأولياء 96/4]، و[النمري: جامع بيان العلم وفضله، 641/1: رقم الحديث 1108]. وصرح الألباني بوضعه في سلسلة الأحاديث الضعيفة (ج 1/70: رقم الحديث 16).

³ [مسلم: صحيح مسلم، الإمارة/ كراهة الإمارة بغير ضرورة، 1457/3: رقم الحديث 1825].

فقد أخذ نفسه بالصوم المتتابع حتى لا يكاد يفطر، و"سَرَدَهُ" حتى كان يصوم الدهر⁴. والصوم في ذلك الزمان خير سبيل لمن لا يجد الطعام، ففيه الأجر والثواب، وفيه التعود على الصبر، بدل التلوي من الجوع طوال الليل والنهار. ثم إنَّ تقليل الوجبات في زمن يُعتقد فيه الطعام، وتندر فيه الأزواد والأقوات، حتى لا يجدها الفقراء إلا لماماً، أمرٌ مرضيٌّ عند كرام الناس، وإذا كان المرء يستطيع العيش بوجبتين في اليوم يتناولهما، فيمكنه الاستغناء عن ثلاثة تعوَّدها في ساعة اليُسْر والغنى. كما ألزم نفسه رضي الله عنه الأكل مع الناس، فلا تَرْفَعُ ولا أَنْفَعُ ولا اعتزَالٌ، وإنما يأكلُ مما يأكلون منه، ويشربُ مما يشربون، ويلبسُ كالذي يلبسون. ثم إنَّ الجلوس مع الفقراء الجوعى، والأكل معهم مشعرٌ بحبه لهم، ومكانتهم عنده، وشفقته عليهم، وعدم تميزه عنهم، وفي ذلك تطييبٌ لقلوبهم، وتسكينٌ لخواطرهم، وترضيةٌ لنفوسهم، فكيف سينقمون بعد ذلك على خليفة، طعامه من طعام شعبه، ومجالسه بينهم، لا يَخْفَى عليهم من أمره شيءٌ، فإذا دَبَّحَ لهم الجزر، قام بنفسه يضع اللحم فوق الثريد، فإذا أكلوا أكل معهم مما يأكلون⁵، لا يَخْصُ نفسه بقطعة لحم دَسَمَةٍ، ولا بوزكٍ سمين، إنما حاله كحال أشد المسلمين يؤسًا. فإذا لم يأكل معهم وأكل منفردًا في بعض الأحيان، فأكله الزيت، مثرودًا به الخبز⁶، لا يخالفهم إلى وجبة شهية، ولا لقمة طرية، فالصدق مع أمته شِعَارُهُ ودِتَارُهُ في حضوره وغيبته.

وربما أراد بعض الأعوان والطباخين إكرامه فاخذوا له شيئاً مما يأكله الناس، فيأتوه به فيزُدُّه، ويأمرُ به إلى بيت من بيوت فقراء المسلمين، ويكتفي هو بثريد الرِّيت، فقد "تحروا يوماً من الأيام جزوراً، فأطعمها الناس، وغرفوا له طَيِّبَهَا، فَأَتَى به، فإذا فِدْرٌ⁷ من سَنَامٍ ومن كَبِدٍ، فقال: أتى هذا؟ قال: يا أمير المؤمنين، من الجَزُورِ التي نَحَرْنَا اليوم. قال: بخِ بخِ، بنَسِّ الوالي أنا إنَّ أَكَلْتُ طَيِّبَهَا وَأَطْعَمْتُ النَّاسَ كَرَادِيْسَهَا⁸، ارفع هذه الجَفْنَةَ، هاتِ لنا غيرَ هذا الطعام. قال: فَأَتَى بخبزٍ وزَيْتٍ، قال: فجعل يكسُرُ بيده ويثُرُدُ ذلك الخبز، ثم قال: وَيَحْكُ يا يَزْفَا⁹، احمل هذه الجَفْنَةَ حتى تأتي بها أهلَ بيْتِ بِثَمَغٍ¹⁰، فإني لم آتهم منذُ ثلاثةِ أيام، وأحسبُهم مُقْفَرِينَ، فضعها بين أيديهم"¹¹.

وفي النصِّ إفادةٌ أنَّ عمرَ رضي الله عنه كان يعرف بيوت المسلمين بيتاً بيتاً، ويعرف من قَدِمَ المدينة من اللاجئين، ويعرف أحوالهم، ويؤثِّرهم على نفسه فيما يأتيه، ويُعَدِّمُ له. **المطلب الثاني: ترفعه عن لذيق الطعام وتركه للمسلمين.**

يمكن لكل واحد أن ينفرد بإناء طعامه فيأكل وحده، ويعدُّ ذلك من الحرية الشخصية ومن الخصوصية الذاتية، وهي صفة عند أصحاب السلطان أبين وأخص، لكن عمر الخليفة رضي الله عنه كان لا يترفع عن أن يأكل الناس معه في إنائه، بل كان يدعوهم إلى الأكل معه، سواء أعرَفهم أم لم يعرفهم، وسواء أكانوا من أهل المدينة أم من البدو والأعراب، وفي الرمادة كان الأمر له ألزم وأوجب، فقد "أتى بخبزٍ مقنوتٍ بسمينٍ عام الرمادة، فدعا رجلاً بدويًا، فجعل يأكل معه، فجعل البدوي يتبع

⁴ ابن سعد، الطبقات الكبرى(ج3/312).

⁵ انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى(ج3/312).

⁶ انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى(ج3/312).

⁷ فِدْرٌ: الفدر من اللحم، القطعة إذا كانت مجتمعة. الجوهري، الصحاح(ج2/779).

⁸ كراديسها: الكراديس رؤوس العظام، وقيل كل عظم تام كردوس، والجمع كراديس. الصفي، تصحيح التصحيف(ص440).

⁹ هو حاجب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أدرك الجاهلية، وحج مع عمر في خلافة أبي بكر. انظر العسقلاني، الإصابة(ج6/546).

¹⁰ ثَمَغٌ: بالفتح ثم السكون، والغين معجمة: موضع مال كان لعمر بن الخطاب، رضي الله عنه بالمدينة، فوقه. الجزري، النهاية في غريب الحديث(ج1/222)، ياقوت الحموي، معجم البلدان(ج2/84).

¹¹ ابن سعد، الطبقات الكبرى(ج3/312).

باللحمة الودك¹² في جانب الصخفة، فقال له عمر: كأنك مُقْفَرٌ مِنَ الْوَدَكِ؟ فقال: أَجَلٌ، ما أكلتُ سمنًا ولا زيتًا، ولا رأيتُ آكلًا له منذ كذا وكذا إلى اليوم. فحلف عمر لا يذوقُ لحمًا ولا سمنًا حتى يحيا الناس¹³.

إن منظر هذا البدوي الجائع وهو يتتبع أثر السمن في أطراف الصخفة، واعتذاره عن فعله بشدة اشتياقه له لفقده زمنًا، كان كافيًا أن يحمل عمر الرحيم بأمته على الحلف بألا يذوق اللحم والسمن حتى يجدهما سائر الناس. وهو يمين أنفذه عمر رضي الله عنه ولم يَحْنُثْ به، فلم يأكل سمنًا ولا سمينًا حتى أحيا الناس¹⁴.

ولطالما اشتتهما نفسه - وهما مأكوله من قبل - وصوت لفقدهما بطنه، فأجابته: "تَقَرَّرَ تَقَرُّرُكَ، إنه ليس لك عندنا غيره حتى يحيا الناس¹⁵". فحياة الناس عنده أعظم من حياته، وشبعهم أولى من شبعه.

ثم إن هذا الترفع عن لذيذ الطعام في المحنة ليس متعلقًا بالمال العام فحسب، بل إنه ترفع حتى لو كان من خالص ماله أو مال عياله، وهذا من الصدق الذي عهد بعمر رضي الله عنه، فكان يعيشه واقعًا حيًا لا زيفًا ونفاقًا، فحاله مستوٍ في السر والعلن.

فإن جاز لولد من أولاده أن يطعم بعض اللحم والسمن - أحيانًا في مثل هذه الأيام الشحيحة - من حُرِّ ماله، فما كان عمر رضي الله عنه ليأذن لنفسه أن تفكر في مشاركتهم هذه اللقمة، حتى ولا ذواقًا، إنما طعامه من طعام العامة، حتى قالوا: "ما أكل عمر في بيت أحد من ولده ولا بيت أحد من نسائه ذواقًا زمان الرمادة، إلا ما يتعشى مع الناس، حتى أحيا الله الناس أول ما أحيوا"¹⁶.

وقد اشترت امرأته مرةً له فرق¹⁷ سمن بستين درهما، فقال عمر: " ما هذا؟ فقالت امرأته: هو من مالي ليس من نفقتك. فقال عمر: ما أنا بذانقه حتى يحيا الناس¹⁸".

فعلت ذلك لأنها كانت تعلم أن عمر رضي الله عنه لن ينفق درهمًا واحدًا من ماله على نفسه خاصة، ولن يطعم السمن وقد حرّمه على نفسه، فما عليها لو أسعدته بشيء من السمن تشتريه من خالص مالها؟ وما عليه لو أكل من هذا السمن، أو ذاقه؟ لكنه صدق الفاروق، وشفافية روحه، ويقظة ضميره.

ومن الملاحظ أن قصة محاولة إطعام عمر السمن من قبل أهله والمقربين إليه تعددت الروايات فيها، وليس من اللازم لهذا التعدد التعارض وطرح بعضها، بل الأقرب إلى الصواب أن المحيطين بعمر كان كل واحد منهم يحاول أن يدفع عنه غائلة الجوع وأذاه، وعمر في موقعه كأمير للمسلمين من حقه على رعيته أن تدفع عنه كل ما من شأنه أن يُعَيِّقَهُ عن القيام بواجبه، أو يُؤثِّرَ سلبًا على عقله وجسمه. وهي محاولات منهم لإخراجه من دائرة اليمين الذي حلفه على نفسه، فهذه محاولة من زوجه، وأخرى من ابنته، وثالثة

¹² الودك: دَسَمُ اللحم. الجوهري، الصحاح(ج4/1613).

¹³ ابن سعد، الطبقات الكبرى(ج3/313).

¹⁴ انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى(ج3/313).

¹⁵ ابن سعد، الطبقات الكبرى(ج3/313). [الشيباني: الزهد، ص225]، [الأصفهاني: حلية الأولياء، 48/1]. ابن عساکر، تاريخ دمشق(ج44/347). وقد صحح سند رواية ابن سعد الباحث عبد السلام آل عيسى. وانظر آل عيسى، دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية رضي الله عنه(ج2/614).

¹⁶ ابن سعد، الطبقات الكبرى(ج3/317).

¹⁷ فرق: الفرق بتسكين الراء وتحريكها وهو الفصيح، هو مكيال ضخم لأهل المدينة، واختلفوا في مقداره على أقوال، وقد رجح أهل العلم من الفقهاء أن الفرق ستة عشر رطلاً أو ثلاثة أصع. أما مقدار الفرق - في زماننا - بالجرامات فيساوي = 6525 جراما. المنيع، بحث في تحويل الموازين والمكائيل الشرعية(ص19).

¹⁸ ابن عساکر، تاريخ دمشق(ج44/346).

من غلامه وخادمه، فقد " قدمت السوق عُكَّةً¹⁹ سمنٍ ووطْبٌ²⁰ من لبن، فاشترها غلام لعمرَ بأربعين درهماً، ثم أتى عمر، فقال: يا أمير المؤمنين، قد أبرَّ الله يمينك وعظَّم أجرك، قدمَ السوقَ ووطْبٌ من لبنٍ وعُكَّةٌ من سمنٍ ابتعتهما بأربعين درهماً. فقال عمر: أغلَّيتَ بهما، فتصدق بهما، فإني أكره أن أكل إسرافاً. وقال: كيف يعنيني شأن الرعية إذا لم يصبني ما أصابهم!"²¹. لكن عمر لم يكتف بأَنْ حَرَّمَ على نفسه اللَّحْمَ والسمن، بل ذهب أبعد من ذلك، فلم يأكل خبزاً منخولاً، حتى قال يسار بن نُمير: " والله ما نَخَلْتُ لعمرَ الدقيق قط إلا وأنا له عاصٍ"²².
المطلب الثالث: تنزيهه أهله عن لذيذ الطعام.

وأهل عمر رضي الله عنه في هذه العزَّات كنفسه، وحالهم كحاله، لا يتميزون عن غيرهم، فلا يليق بأبناء الخليفة وأبناء أبنائه أن يجرحوا شعور ضعفاء المسلمين ومساكينهم بأكل ما لا يستطيعون الحصول عليه، حتى ولو كان المأكل بطيخة لا يجدها غالب المسلمين، فقد " نظر عمر رضي الله عنه عام الرمادة إلى بطيخة في يد بعض ولده، فقال: بخ بخ يا ابن أمير المؤمنين، تأكل الفاكهة وأُمَّة محمدٍ هزلَى! فخرج الصبي هارباً وبكى، ولم يَسْكُتْ عمرٌ حتى قيل له إنه: اشتراها بكفٍّ من نوى"²³. هذا إذا كان الأمر له تعلق ببطيخة، فكيف الحال إذا كانت شاةً مصليةً، فقد " كان لعبيد الله بن عمر بهمةً²⁴، فَجُعِلَتْ في النَّتُّور، فخرج على عمر ريحها، فقال: ما أظن أحداً من أهلي اجترأ عليَّ - وهو في نفر من أصحابه-، فقال: اذهب فانظر. قال: فوجدتها في النَّتُّور، فقال عبيد الله: اسْتُرْني سترك الله. فقال: قد عرف حين أرسلني أنني لن أكذبه، فاستخرجها، ثم جاء بها، فوضعها بين يديه، واعتذر إليه أن تكون كانت بعلمه، وقال عبيد الله: إنما كانت لابني اشتريتها فَقَرِمْتُ²⁵ إلى اللحم"²⁶.
والأمر كذلك بالنسبة للباس، فما يليق بالخليفة وأهله أن يتميزوا عن سائر الناس في اللباس خاصة في مثل هذه الأوقات العصبية، وقد حَدَّثَ من رأى عمر عام الرمادة فقال: " رأيت على عمر بن الخطاب إزاراً في زمن الرَّمادة فيه ست عشرة رُقعة، ورداؤه حَمْسٌ وشبر، وهو يقول: اللهم لا تجعل هلكة أمة محمد على يدي"²⁷.
فهذه بعض صفات الخليفة القوية الذي يريد بأتمه الخير، ويجتهد أن يخرج بها سالمة من كل مُلِمَّةٍ، فإن لم يكن الحاكم أسوة لسائر رعيته لم يستطع أن يقود سفينته بسلامة، ولا أن يرسو بها على شاطئ الأمان، ولا يمكنه حينها أن يطالب الناس بما لا يقدر على حمل نفسه عليه.

المبحث الثاني

التدابير العامة

إذ لا يكفي أن يَحْمِلَ الإمامُ نفسه على الشدة والعزيمة، ويُصْزِرَها على المكْرُماتِ قصراً، ثم يجلس ينتظر الفرج وزوال العُمةِ واندحارِ الخطرِ وانهزامِ الفقر، دون جملةٍ من التدابير الداخلية التي لا بد من الذهاب إليها وحمل الناس عليها فهي خيرُ

¹⁹ عكة: العُكَّةُ عكَّةُ السمن أصغر من القرية، وتُجمع عكاكا وعُكا. الفراهيدي، العين (ج1/66).

²⁰ ووطب: الوطْبُ: سقاء اللَّبن، وجمْعُهُ: وِطَابٌ وأوطابٌ. وقيل: وِطْبَةٌ ووطوب. الفراهيدي، العين (ج460/7).

²¹ ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج2/375).

²² ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/319).

²³ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/315).

²⁴ بهمة: وهي أولاد الضأن. والبهمة اسم للمذكر والمؤنث. الجوهري، الصحاح (ج5/1875).

²⁵ قرمت: القَرْمُ: شِدَّةُ الشَّهْوَةِ لِلْحَم. الحربي، غريب الحديث (ج2/376).

²⁶ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/313-314).

²⁷ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/322).

معين بعد الله تعالى على انطلاق الناس من قيد الجوع، وانفكاكهم من أسر الأزمّة وظلم الجرمان، وقد سلك الخليفة الراشد عمر - رضي الله عنه - في مواجهة المجاعة عدة سبل، جعلتها في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مخيمات اللاجئين، وإيواء الوافدين وإطعامهم.

ما كادت المجاعة تلقي بجرانها²⁸ في جزيرة العرب، وتهب رياحها على الناس المتناثرين في أطرافها ونواحيها، حتى أقبلت جموع النازحين والعطاش الجائعين، من كل ناحية وصوب، في أثوابها الممزقة، وأقدامها الحافية، وأجسادها المتعبة، وأشداقها المقرّحة، وجلودها الجافة اليابسة، تلتمس كِسْرَةَ خبزٍ، ورَشْفَةَ ماءٍ من أميرها العادل، وخليفتها الراشد، وما كان جوره - لو كان جائراً، وحاشاه - ليمنعها عنه، فسيفُ الجوع فتاك، وسلطانه جهول، وأصوات الأطفال الجياح يمزق كبد الصخر، ويبعث في الجبان عزائم الشجعان.

أقبل الناس إلى عاصمة الخلافة، زرافات ووجدانا، وأقاموا حولها مخيماتهم، ونصبوا في ربوعها مضاربهم وأماكن سكناهم، حتى أحاطوا بها من كل جانب، " وكانوا حلولا فيما بين رأس الثنية إلى راتج إلى بني حارثة إلى بني عبد الأشهل إلى البقيع إلى بني قريظة، ومنهم طائفة بناحية بني سلمة"²⁹.

ولم يتأخر عمر - رضي الله عنه - عن إغايتهم وتقديم العون لهم، فقد شكّل على الفور فريقاً من خيرة أصحابه، كل رجل منهم على ناحية من المدينة، فكان منهم: " يزيد بن أخت النمر³⁰، والمسور بن مخرمة³¹، وعبد الرحمن ابن عبد القاري³²، وعبد الله بن عتبة بن مسعود³³، وجعل مهمتهم إغاثة اللاجئين الوافدين، ومتابعة شؤونهم، والقيام على أمورهم وقسمة أطعمتهم وإدامهم بينهم³⁴. وألزم هذه النخبة المختارة باجتماع يومي معه، يُطلعونه فيه على ما جرى معهم، ويخبرونه عن أحوال القوم وكلّ جديد من أخبارهم، وعن كل قادم جديد يقدم، بل عن يموت منهم.

²⁸ بجرانها: أي ثبتت وأقامت. والجران: الصدر وكذلك البرك والأضل فيه أن يبرك التغيير فيضرب بصدرة الأرض. فقيل ذلك للشّيء إذا ثبت وأقام واستقر. ابن قتيبة، غريب الحديث (ج2/479).

²⁹ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/316)، ابن عساکر، تاريخ دمشق (ج44/348)، وكلها أسماء لمواقع في المدينة المنورة.

³⁰ هو يزيد بن سعيد بن ثمامة بن الأسود بن عبد الله بن الحارث، والد السائب بن يزيد، ابن أخت نمر. له ضحبة، أسلم يوم الفتح، وصحب النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه. روى عنه: ابنه السائب بن يزيد. روى له البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود، والنزيمدي. المزي، تهذيب الكمال (ج32/141).

³¹ هو المسور بن مخرمة بن نوفل القرشي الزهري، أبو عبد الرحمن، ولد بمكة بعد الهجرة بسنتين، وقدم به أبوه المدينة في عقب ذي الحجة سنة ثمان. سمع من النبي صلى الله عليه وسلم وحفظ عنه، وحدث عن عمر بن الخطاب، وعبد الرحمن بن عوف. وكان فقيها من أهل الفضل والدين. بقي في المدينة إلى أن قتل عثمان، ثم انحدر إلى مكة، فأصابه حجر من حجارة المنجنيق أثناء حصارها، وهو يصلي في الجحر، فقتله، وذلك سنة أربع وستين. النمري، الاستيعاب في معرفة الأصحاب (ج3/1399).

³² هو عبد الرحمن بن عبد ويقال ابن عبد الله بن عبد القاري المدني، من أهل القارة، كنيته أبو محمد، ويقال إنه ولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم. كان عامل عمر بن الخطاب مع ابن الأرقم على بيت المال. مات سنة ثمان وثمانين، وقيل سنة ثمان وسبعين، وهو ابن ثمان وسبعين سنة. روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وروى عنه السائب بن يزيد، وعروة بن الزبير. ابن منجويه، رجال صحيح مسلم (ج1/415).

³³ عبد الله بن عتبة بن مسعود بن غافل، يُكنى أبا عبد الرحمن. روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد استعمله عمر على السوق، ثم تحوّل إلى الكوفة، فنزلها وتوفي بها في خلافة عبد الملك بن مروان، وكان ثقةً رفيعاً كثير الحديث والفنّي فيها. ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج5/58).

³⁴ انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/316)، ابن عساکر، تاريخ دمشق (ج44/348).

وأمرهم بإحصاء أعداد الوافدين باستمرارٍ، سواء من يحضرون معه العشاء، أو من يبقون في خيامهم وفي نواحي المدينة البعيدة منها والقريبة.

وكان من سياسته رضي الله عنه أن يجمع في كل يوم آلاف الناس الجياع، ليتعشوا عنده وبين يديه، خاصةً من قَدَرَ على المجيء، أما الرجال الذين أقعدهم الضعف والمرض، والنساء والصبيان، ومن لا يستطيع الوصول إليه، فكان طعامهم يصل إليهم في مضاربهم.

"وقد أمر ليلةً بعدما تعشى الناس عنده بإحصاء من تعشى، فقام أعوانه في الليلة القابلة بإحصائهم فوجدوهم سبعة آلاف رجل، كما أمر بإحصاء العيالات الذين لا يأتون والمرضى والصبيان فأحصوهم فوجدوهم أربعين ألفاً"³⁵.
ثم أمر بإحصائهم بعد ليل فوجدوا من تعشى عنده عشرة آلاف، والآخرين خمسين ألفاً"³⁶.

كانت الأعداد في ازدياد مستمر، فالأزمة تتفاقم، والمجاعة تزداد، لكنه مع ذلك لم ينسَ المرضى، فوضع لهم برنامجًا خاصًا، كان على معاونيه تنفيذه كل يوم، إذ كان على الطباخين أن يستيقظوا في السحر قبل صلاة الفجر ليعدوا وجبة خاصة، لا لعمر وأهل بيته، لكنها وجبة خاصة للمرضى، فكانوا ينصبون القدور، ويطبخون (الكركور)³⁷ ثم يطعمونه للمرضى³⁸، وفي وقت لاحق "يعملون العصائد"³⁹.

وكان غالب طعامهم الخبز المثرود بالزيت، فقد " كان عمر يأمر بالزيت فيُفار في القدور الكبار على النار حتى يذهبَ حَمْتُهُ وحره، ثم يُتردُ الخبزُ، ثم يُؤدَمَ بذلك الزيت، فكانت العرب يُحمون من الزيت"⁴⁰.

أما الذين لا يستطيعون الوصول إليه فكان هو يصل إليهم، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "يرحم الله ابن حنتمة⁴¹! لقد رأيتُه عامَ الرمادة وإنه ليحمل على ظهره جرابين وعُكَّةَ زيتٍ في يده، وإنه ليتعقب هو وأسلم⁴²، فلما رأني قال: من أين يا أبا هريرة؟ قلت: قريبًا، فأخذتُ أعقبه، فحملناه حتى انتهينا إلى صرار⁴³، فإذا نحو من عشرين بيتًا من مُحارب، فقال لهم: ما أقدمكم؟ قالوا: الجَهُدُ، وأُحْرَجُوا لنا جلدَ المَيْتَةِ مشويًا، كانوا يأكلونه، ورَمَّةَ العظامِ مسحوقَةً، كانوا يَسْتَقُونُهَا، فرأيتُ عمرَ طرَحَ رداءه ثم انْتَرَزَ، فما زال يطبخُ حتى أشبَعَهُمْ، ثم أرسلَ أَسْلَمَ إلى المدينة فجاءنا بأبْعَرَةٍ، فحَمَلَهُمْ عليها حتى أنزلَهُم الجَبَانَةَ⁴⁴ ثم كساهم، وكان يختلف إليهم وإلى غيرهم حتى رفع الله ذلك"⁴⁵.

³⁵ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/316). ابن عساکر، تاريخ دمشق (ج44/348).

³⁶ انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/316-317). ابن عساکر، تاريخ دمشق (ج44/348). الذهبي، تاريخ الإسلام (ج3/273).

³⁷ الكركور: الكركرة: اللبن الغليظ عن كراع. ابن منظور، لسان العرب (ج5/137).

³⁸ انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/317)، ابن عساکر، تاريخ دمشق (ج44/348).

³⁹ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/317). ابن عساکر، تاريخ دمشق (ج44/348). والعصيدة من العَصْد وهو اللَّيْ، وهي التي تَعَصِدُهَا بالمسواط فَتَمْرُهَا به فتقلب ولا يَبْقَى في الإناءِ منها شيء إلا انقلب وفي حديث حَوْلَةَ: فَفَرَّيْتُ لَهُ عَصِيدَةً هُوَ دَقِيقٌ يُلْتُ بِالسَّمَنِ وَيَطْبَخُ. انظر الجوهري، الصحاح (ج2/509)، ابن منظور، لسان العرب (ج3/291).

⁴⁰ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/317). ابن عساکر، تاريخ دمشق (ج44/348-349).

⁴¹ ابن حنتمة هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسمي بذلك نسبة إلى أمه حنتمة بنت هاشم. الزبير، نسب قريش (ص301).

⁴² اسم مولاة ومساعدته. انظر الصفدي، الوافي بالوفيات (ج9/32).

⁴³ صرار: موضع على ثلاثة أميال من المدينة على طريق العراق. ياقوت الحموي، معجم البلدان (ج3/398).

⁴⁴ الجَبَانَةُ: المقبرة. ياقوت الحموي، انظر معجم البلدان (ج2/99).

⁴⁵ ابن عساکر، تاريخ دمشق (ج44/347-348). ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج2/436).

ولم يكونوا وحدهم بالجبانة، فقد كان فيها غيرهم، فعن مالك بن أوس بن الحدثان من بني نصر قال: " لما كان عامُ الرمادة قدم على عمر قومي مائة بيتٍ فزلوا بالجبانة فكان عمر يُطعمُ الناسَ من جاءه. ومن لم يأت أرسل إليه بالدقيق والتمر والأدم إلى منزله"⁴⁶.

ولم يكن هذا فعله مع هذه البيوت المائة، بل كان من عاداته أن " يصنع الطعام وينادي مناديه: من أحب أن يحضر طعاماً فيأكل فليفعل، ومن أحب أن يأخذ ما يكفيه وأهله فليأت فليأخذه"⁴⁷.

ولما كانت الأقوات شحيحة، فقد ألزم نفسه إطعام من يأكل على مائدته يوماً فيوماً، وكان يرسل إلى آخرين " ما يُصلحُ حالهم شهراً بشهر " ⁴⁸.

لكن الأزمة كانت هائلة رهيبة أتت على كل ما كانت تقع عليه يد الإنسان، بل إنها حصدت آلاف الأنفس والأرواح، قال أسلم: " وقع فيهم الموت فأراه مات ثلثاً ثم بقي ثلثاً"⁴⁹. ولعل اختلاف الطعام كان من أسباب الهلاك، فقد ورد أن " الموت قد اشتد فيهم حين أكلوا الثقل"⁵⁰، والثقل: هو الحَب، فإنهم لما لم يأكلوا اللبن الذي اعتادوه وأكلوا الحبوب كالقمح والشعير... ، عسر عليهم هضمها، وثقلت في أبدانهم، وصعب إخراجها، وذلك أشد ما يكون حال البدوي كما ذكر الجوهري⁵¹.

وكان على عمر أن يوفر لهم الأكفان بعد موتهم، ويأتي بنفسه فيصلي عليهم، وربما صلى على عشرة جميعاً⁵².

ولم يزل هذا دأبه معهم حتى كشف الله الغمة ورفع العناء، فأرسل السماء، فجادت بالمطر، واستبشر الناس بالخير، فجاء عمر إليهم وقال: " اخرجوا من القرية إلى ما كنتم اعتدتم من البرية"⁵³.

ووكل كل قوم من هؤلاء النفر الذين ذكرت بناحيتهم يخرجون الناس إلى البادية ويعطونهم قوتاً وحملنا إلى باديتهم، بل إن عمر كان يخرجهم هو بنفسه. ويحمل الضعيف منهم، حتى لحقوا ببلادهم⁵⁴.

المطلب الثاني: توزيع الغذاء خارج المدينة.

قدمت القول في المطلب الأول أن عمر - رضي الله عنه - تولى العناية بمن جاء المدينة والتجأ إليه فيها، غير أن كثيرين سواهم لم يُسعفهم الحال على الانتقال إلى جوار الخليفة العادل فأثروا المقام في مواضعهم من البادية حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

وكان على عمر - رضي الله عنه - أن يوصل إليهم أقواتهم إلى ديارهم، فهم رعيته وفي ذمته وعهده، فأرسل إلى ولاته على الأقاليم يستجد بهم ويستحثهم على إرسال ما يمكن توفيره من أرزاق وأقوات.

وما كان لهم أن يتأخروا عن نجدة إمامهم ومن معه من المسلمين، فأرسلوا القوافل يتبع بعضها بعضاً.

وكان لعمر رضي الله عنه فيها تدبير ولها تصريف قبل أن تصل إليه أو يحتويها بيت مال المسلمين، فعن أسلم قال: "لَمَّا كَانَ عَامُ الرَّمَادِ، وَأَجْدَبَتْ بِبِلَادِ الْأَرْضِ، كَتَبَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ: «مَنْ عَنَدَ اللَّهِ عُمَرُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى الْعَاصِ بْنِ

⁴⁶ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/317).

⁴⁷ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/311).

⁴⁸ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/317).

⁴⁹ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/317). ابن عساکر، تاريخ دمشق (ج44/348). الذهبي، تاريخ الإسلام (ج3/274).

⁵⁰ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/317).

⁵¹ انظر الجوهري - الصحاح (ج4/1646).

⁵² انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/317).

⁵³ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/317).

⁵⁴ انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/317). ابن عساکر، تاريخ دمشق (ج44/348).

الغاص، لعمري ما تُبالي إذا سمنت ومن قبلك أن أعجف أنا ومن قبلي، ويا عوثاه. فكتب عمرو: سلام، أما بعد، لبنيك لبنيك أنتك عير أولها عندك، وأخرها عندي، مع أنني أرجو أن أجد سبيلاً أن أحمل في البحر، فلما قدمت أول عير دعا الزبير، فقال: اخرج في أول هذه العير، فاستقبل بها نجداً، فأحمل إلى كل أهل بيت قدرت على أن تحملهم، وإلى من لم تستطع حمله فمز لكل أهل بيت بعير بما عليه، ومزهم فليلبسوا كياس الذين فيهم الحنطة، ولينحروا البعير، فليجملوا شحمه، وليقدوا لحمه، وليأخذوا جلده، ثم ليأخذوا كميته من قديد، وكميته من شحم، وحفنة من دقيق، فيطبخوا، فيأكلوا حتى يأتيهم الله برزق، فأبى الزبير أن يخرج، فقال: أما والله لا تجد مثلها حتى تخرج من الدنيا، ثم دعا آخر أظنه طلحة، فأبى، ثم دعا أبا عبيدة بن الجراح، فخرج في ذلك⁵⁵.

وعلى تلك الهيئة مضت أوامر الخليفة الراشد، في كل البقاع المنكوبة، لا يحيد عنها عامل ولا مكلف. وكل مستقبل لفاقلة من جهة يمضي بها فيما والاه من الناس والأرض فيقسمها على أهل تلك النواحي وفق وصية عمر رضي الله عنه⁵⁶.

وذلك رأي فقهي سديد أخذ به الإمام مالك، فقد روي عنه في الصدقات أنها: "تقسم في مواضعها، فإن فضل عنهم شيء فأقرب البلدان إليهم". ثم ذكر مالك رسالة عمر إلى عمرو وإرسال عمرو للأقوات، وكيف تعامل عمر معها، فقال: "فكان عمر يقسم ذلك بينهم على ما يرى، ويوكل على ذلك رجالاً ويأمرهم بحضور نحر تلك الإبل، ويقول: إن العرب تحب الإبل فأخاف أن يستحيوها، فلينحروها وليأتموا بلحومها وشحومها وليلبسوا العباء الذي أتى فيها بالدقيق"⁵⁷.

المطلب الثالث: الإنسان أولى من البهائم.

حرص الإسلام على رعاية الإنسان وكرمه، وجعل من العدل والإنصاف له أن ينال كفايته من مستلزمات الحياة خاصة مما فيه حياته، وأن ينعم بالمأكل والمشرب والمسكن الذي يناسبه، وفي ذلك تفضيل له على سائر المخلوقات كما قال تعالى: {وَلَقَدْ

كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَجْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا} الإسراء: 70.

لكن الإسلام يرفض أن تموت الحيوانات جوعاً وعطشاً، ويعتبر المتسبب في ذلك مذنباً مقصراً مستوجباً للتعزير في الدنيا، ودخول النار في الآخرة، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "عذبت امرأة في هرة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار، لا هي أطعمتها وسقنتها، إذ حبستها، ولا هي تركتها تأكل من خشاش الأرض"⁵⁸.

وهو إذ يرفض أي إساءة للحيوان يرفض كذلك أن تعيش الحيوانات عيشة الرفاهية والالتعم، أو أن تفضل على الإنسان، في حين يموت الإنسان من الجوع وفقدان القوت.

وإذا كان لا يحل لمسلم أن يبيت شعبان وجاره إلى جواره جائع، فكيف يسوغ أن يجوع مسلم وكلب جاره يأكل اللحم، ويلعق العسل. وهو ما فطن إليه الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حينما ركب عام الرمادة دابة فرائث شعيراً فرأها، فقال: "المسلمون يموتون هزلاً وهذه الدابة تأكل الشعير! لا والله لا أركبها حتى يحيا الناس"⁵⁹.

⁵⁵ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/310-311). و[ابن خزيمة: صحيح ابن خزيمة: الزكاة/ ذكر الدليل على أن العامل على الصدقة إن عمل عليها متطوعاً...، ج 4/68: رقم الحديث [2367]. و [الحاكم النيسابوري: المستدرک على الصحيحين، الزكاة/ النهي عن لوئين من التمر، 1/561: رقم الحديث [1472] واللفظ لابن خزيمة، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

⁵⁶ انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/311).

⁵⁷ مالك، المدونة (ج1/336-337).

⁵⁸ [البخاري: صحيح البخاري= الجامع الصحيح المختصر، المساقاة/ فضل سقي الماء، 2/834: رقم الحديث [2236]. و[مسلم: صحيح مسلم، الآداب/ تحريم قتل الهرة، 4/1760: رقم الحديث [2242/151].

وهو حين يقسم ألا يركب هذه الدابة المُنعمَةَ إنما يريد تربية أهل بيته، ولفت أنظارهم إلى الأولويات المنسية، ومنها: أن الإنسان مكرم، وأنه أولى بالطعام- ولو كان الطعام شعيرًا- من الدابة التي يمكن إطعامها من حشائش الأرض، وأوراق الشجر التي لا يمكن أن تكون يومًا من طعام الإنسان، وقد كان الشَّعير يومذاك من قوتِ الناس، فكيف تُعلف البهائم قوتِ الناس ولا يجد الناس ما يَطعمونه؟ وكيف تُعلف دابَّةُ الخليفة الشعير، في زمنٍ لم يجد الناس فيه ما دون الشعير ليأكلوه؟ تلك كبيرة في مذهب عمر رضي الله عنه، وذنبٌ ألا يتببه أهله إلى هذا الأمر؟ ومنقصة تجرح في عدالته إن رضىها والناس يموتون جوعًا. ولذلك سأل يَرْفأ خادمه: " كم تَعْلِفون هذا الفرس؟ قال: ثلاثة أمداد⁶⁰. فقال: إن هذا لكافٍ أهل بيت من العرب. ثم قال: والذي نفسي بيده لتعالجنَّ غَزَرَ النَّقِيعِ"⁶¹.

والمعنى أن عمر سيتخلى عن فرسه ويرسله إلى أرض غَزَرَ النَّقِيعِ الذي حماه رسول الله صلى الله عليه وسلم لخيال المسلمين، يري هناك ليوفر شعيره لفقراء المسلمين، فهم أولى بالشعير من الفرس. وهو ما بينته رواية الزمخشري فيها: لئن عشت لأجعلن له من غَزَرَ النَّقِيعِ ما يُغنيه عن قوت المسلمين⁶². وهكذا العدل عند عمر -رضي الله عنه-، حتى في إطعام الحيوانات، فلا ظلم، ولا تعدي، ولا إسراف ولا تقدير، ولكل حقه عند عمر، مع مراعاة الزمن والحال.

المبحث الثالث

العون الخارجي والداخلي.

كما اجتهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- في تدبير أمور الناس الداخلية فاتخذَ جملة من الإجراءات التي يمكن تطبيقها في حياتهم والتي تعينهم على تجاوز المحنة والخروج منها، التفت أيضًا إلى باقي الولايات الإسلامية التي تشكل امتدادًا جغرافيًا لدولة المدينة، وداعمًا اقتصاديًا لها، كما لم ينس دورَ الأغنياء والموسرين في المدينة وما حولها، والذين لم تحنهم المجاعة، ويقوا رافدًا يمكن الانتفاع به في محاربة هذه الأزمة القاتلة. وفي هذا المبحث مطلبان:

المطلب الأول: العون الخارجي.

وبدأت به لأنه الباب الأوسع والمجال الأرحب للمساعدة، وشتان بين من يساعد وهو في عافية اقتصادية وصحية، وبين من يساعد وقد هده المرض والجوع، ثم إن الواجب الأخلاقي والإنساني يفرض التعاون بين سائر البشر في الأزمات العامة والطارئة، وما من دولة في الدنيا تنزل بها رزية أو تعترض سيرها جائحة ولا تقوى عليها وحدها، إلا وهي تتمنى أن تمد لها دول الجوار يد العون والمساعدة.

ونحن نرى اليوم كثيرًا من الدول تهبط لنجدة دولٍ أخرى فيما تواجهه من نوازل طبيعية كالزلازل والبراكين والحرائق والمجاعات، وإن كان هذا التعاون لم يلبس اليوم ثوب الكمال، خاصة في المجاعات، التي لا يزال العون العالمي فيها قاصرًا. وإذا كان حقًا على العالم أن يُعين بعضه بعضًا بحق الإنسانية والتراحم بين أفرادها، فإن من الواجب على المسلم أن ينهض لنجدة إخوانه المسلمين أينما كانوا وألا يبخل عليهم بشيء وإن غلا.

⁵⁹ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/312). و[البهقي: السنن الكبرى، السير/ ما على الوالي من أمر الجيش، 42/9 : رقم الحديث 18368] ، ابن عساکر، تاريخ دمشق (ج44/346).

⁶⁰ المد: مء كفي الرجل المعتدل ... وتوصل التحقيق إلى أن مقدار ذلك قرابة 650 جراما. انظر المنيع، بحث في تحويل الموازين والمكاييل (ص18).

⁶¹ ورد عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حمى النقيع لخيال المسلمين ترعى فيه، [النميري: أخبار المدينة، 100-99/1: رقم الحديث 452-456].

⁶² الزمخشري، الفائق في غريب الحديث (ج3/63).

ومن أهم مزايا هذا الدين الإسلامي الحنيف أنه جعل المسلمين كالجسد الواحد، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: " مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى"⁶³.
ومن هذا المنطلق ما كان لهذه الرزية أَنْ تَحُطَّ في عاصمة المسلمين وما جاورها من الديار ويبقى جمهور المسلمين يتفرجون، فإن لم يبادروا جاءهم الأمر العام القاطع المُفْرَعُ من خليفتهم بالمساعدة وتقديم أقصى ما يمكنهم تقديمه.
وقد وجد عمر -رضي الله عنه- من اللازم يومها أن يتوجه إلى قادة المسلمين وحكام الأقاليم خارج حدود المجاعة بكتبٍ تحمل أمره القاطع لهم بتقديم المساعدات العاجلة لإخوانهم، ولم يستثن منهم أحداً يمكنه أن يقدم شيئاً إلا وخاطبه ولأمه وعتب عليه، إذ كيف لم يتحرك وهو يرى إخوانه المسلمين لا يجدون ما يحييهم.
وأحسب أن مطالبته عماله بِرُفْدِهِ وإرسال الأقوات له لإغاثة المسلمين عنده لم يتأخر، بل كان منذ البداية حينما أدرك أَنَّ المجاعة أكبر من أن تحتويها المساعدات والمعونات الداخلية، فالحكمة وحسن التدبير يدعوانه إلى الطلب بصيغة الأمر العاجل الذي لا يحتمل أناة التفكير ولا طول التمهّل.

لذا خاطب عمرو بن العاص -رضي الله عنه- ووجه له كتاباً غاضباً يقول فيه: "بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى العاصي بن العاصي، سلام عليك، أما بعد: أفتراني هالكاً ومن قبلي وتعيش أنت ومن قبلك، فيا غوثاه، ثلاثاً. فردّ عليه عمرو بن العاص وكتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عمر أمير المؤمنين من عمرو بن العاص، سلام عليك، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد: أتاك الغوث، فَلَبَّتْ لَبَّتْ، لأبعثنّ إليك بغير أولها عندك وآخرها عندي"⁶⁴.
وبعث إلى معاوية في الشام، وسعد بن أبي وقاص في العراق، وأبي موسى الأشعري في البصرة، وإلى والي الكوفة، وسائر الولاة. قال ابن الأثير: "وكتب عمر إلى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومن حولها ويستمدّهم، فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة بن الجراح بأربعة آلاف راحلة من طعام، فولاه قسمتها فيمن حول المدينة، فقسمها وانصرف إلى عمله، وتتابع الناس واستغنى أهل الحجاز"⁶⁵.

وكان من طريقته في التوزيع وحتى لا تضيق الحقوق ولا تنهب المساعدات أن عمر كان يبعث لكل قافلة قادمة من يتلقاها عند حدود الجهة القادمة منها، فما جاءه من العراق بعث من لقيته بأفواه العراق، وما جاءه من الشام بعث من لقيه بأفواه الشام⁶⁶، فإذا استلموها صنعوا فيها ما أمر عمر " فيطعمون الناس الدقيق، وينحرون لهم الجزر، ويكسونهم العباء"⁶⁷. وهكذا...
وهذا يدل على حرص عمر أن تصل المساعدات إلى أصحابها المستحقين بأسرع وقت، وأن تُسَلِّمَ لهم بأيديهم حتى لا يُتَاجَرَ بها متاجر على حساب الفقراء.

وهذا ما جعل مالك بن أنس يرى أن تقسم الصدقة في مواضعها، فإن فضل عنهم شيء فأقرب البلدان إليهم" واستدل بفعل عمر عام الرمادة⁶⁸.

ويمكن القول أيضاً أن الدعَمَ لم يكن لمرة واحدة بل كان مستمراً حتى ذهب هذا العون بالمجاعة وما خلفته، ومعلوم أن آثار المجاعة لا تنقضي دفعة واحدة بل قد تمتد لعدة سنوات، وهذا ما تقيده الروايات، فخير إرسال عمرو بن العاص -رضي الله عنه- المؤمن من خلال البحر يفيد هذا المعنى ويؤكدده، فإن مصر لم تكن عام الرمادة قد فتحت، إنما كان فتحها سنة إحدى وعشرين، وقد وجدنا الحافظ ابن كثير يطعن في صحة رسالة عمر إلى عمرو بن العاص فيقول: " لكن ذكر عمرو بن العاص في عام الرمادة

⁶³ [مسلم: صحيح مسلم، البر والصلة/تراجم المؤمنين، 4/1999: رقم الحديث 2586/6].

⁶⁴ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/310).

⁶⁵ ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج2/375). وانظر ابن كثير، البداية والنهاية (ج10/70).

⁶⁶ انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/311).

⁶⁷ انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/311).

⁶⁸ تقدم في (ص14).

مُشكل، فإنَّ مصر لم تكن فتحت في سنة ثمانى عشرة، فإِما أن يكون عام الرمادة بعد سنة ثمانى عشرة، أو يكون ذكر عمرو بن العاص في عام الرمادة وهم. والله أعلم⁶⁹.

وهذا اعتراض قوي لو كانت المساعدات تأتي لمرة واحدة، لكنَّ أثر المجاعة كما قدمت لم ينقض في الحال، بل استمر لسنوات، فمن ذهب إبلاه وغنمه لم يكن يعوضها عطاء سنة ولا سنتين.

نعم، أرسل عمر -رضي الله عنه- إلى عماله في جميع الأقاليم يطلب رُفْدَهم وعونهم ومنهم عمرو بن العاص في فلسطين، واستجاب الجميع لندائه، لكنَّ كتب عمر رضي الله عنه لم تتوقف لعدم انقضاء أثر المجاعة، وكانت مصر قد فتحت في السنوات اللاحقة فأرسل عمرو إلى عمر العون في البرِّ وعبر البحر.

يؤكد ذلك الرواية التالية: " أن عمرَ عَسَّ المدينة ذات ليلةٍ عامَ الرَّمادة فلم يجد أحدًا يضحك، ولا يتحدثُ الناس في منازلهم على العادة، ولم يرَ سائلاً يسأل، فسأل عن سبب ذلك فقيل له: يا أمير المؤمنين إنَّ السُّؤال سألوا فلم يُعطوا فقطعوا السؤال، والناس في همٍّ وضيقٍ فهم لا يتحدثون ولا يضحكون. فكتب عمر إلى أبي موسى بالبصرة: أن يا غوثاه لأُمَّة محمد. وكتب إلى عمرو بن العاص بمصر: أن يا غوثاه لأُمَّة محمد.

فبعث إليه كل واحدٍ منهما بقافلة عظيمة تحملُ البُرَّ وسائرَ الأطعمة، ووصلت ميرة عمرو في البحر إلى جدة ومن جدة إلى مكة⁷⁰.

فما كان عمر ليستغرب عدم ضحكهم في عام الرمادة، ولكنه استغربه بعد أن انقضت الغمَّة، وارتفع القحطُ، وظنَّ عمرُ أنَّ الناس صاروا بخير، فكان الأمر على غير ما توقع وأمل.

ولعل في هذه الرواية ما يصور حجم المساعدات الواردة في إحدى المرات: "لما كتبَ عمرُ إلى عمرو بن العاص يبعث بالطعام في البر والبحر بعثَ إليه في البحر بعشرين سفينة تحمل الدقيق والودك، وبعث إليه في البرِّ بألف بعيرٍ تحمل الدقيق، وبعث إليه معاوية بثلاثة آلاف بعيرٍ تحمل الدقيق، وبعث إليه بثلاثة آلاف عباءة، وبعث إليه عمرو بن العاص بخمسة آلاف كساء، وبعث إليه والي الكوفة بألفي بعيرٍ تحمل الدقيق"⁷¹.

وهذه صورة من صور التكافل الرائع بين أقاليم الدولة الإسلامية، وهذا ليس من باب الندب والاستحباب بل من باب الواجب الذي من قصر فيه أثم، " لأن أي بلد أو إقليم في الدولة الإسلامية الواسعة ليس جزءاً مستقلاً كل الاستقلال، ولا ولاية منفصلة عن سائر الولايات، ولكنها ترتبط بالحكومة المركزية، وبسائر المسلمين - ارتباط الجزء بالكل، والفرد بالأسرة، والعضو بسائر الجسد"⁷².

وقد جرت العادة في أيامنا أن تقيم الدول المساعدة بينها وبين الدولة المنكوبة جسراً جويًا وآخر بريًا تتوالى فيه المساعدات طوال زمن الأزمة، فكيف لا يقيم ولاة عمر معه جسراً بريًا وآخر بحريًا طوال شهور الرمادة، وهو ما تشير إليه الرواية التي نتحدث عن المساعدات التي قدمها عمرو بن العاص رضي الله عنه برًّا وبحرًا. قال ابن الأثير: "وتتابع الناس واستغنى أهل الحجاز، وأصلح عمرو بن العاص بحر القلزم وأرسل فيه الطعام إلى المدينة، فصار الطعام بالمدينة كسعر مصر"⁷³.

المطلب الثاني: العون الداخلي.

إنَّ معالجة المجاعة لا تقتصر على سلطان البلاد فحسب، ولا على أهل السياسة والإدارة معه فيها، ولا يليق بأناسها أن ينتظروا الآخرين ممن لا يعرفونهم ومن أهل الدول الأخرى أن يساعدهم ويمدوهم بما يحييهم، بينما أغنياء البلد وأصحاب الأموال

⁶⁹ ابن كثير، البداية والنهاية(ج10/69).

⁷⁰ ابن كثير، البداية والنهاية(ج10/69).

⁷¹ ابن سعد، الطبقات الكبرى(ج3/315).

⁷² القرضاوي، فقه الزكاة(ج2/828).

⁷³ ابن الأثير، الكامل في التاريخ(ج2/375).

فيها قعود يتفرجون ولا يبذلون، ويراقبون ولا يعطون، بل إن الأمر يجب أن يتعداهم إلى سائر المسلمين خاصة الأغنياء الذين مكَّن الله لهم من رقاب المال، فتقبلوا في دثار النعمة وتغيثوا ظلَّالها. والغنى من النعم التي أجاز الشُّرْعُ حسد الغبطة فيها، فقال صلى الله عليه وسلم: " لا حسد إلا في اثنتين: رجل آتاه الله مالا فسلط على هلكته في الحَقِّ، ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها"⁷⁴، وقال لعمر بن العاص رضي الله عنه: «يا عمرو، نِعَمُ الْمَالِ الصَّالِحِ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ»⁷⁵. وما ذلك إلا لأنه ينفقه في سبيله، ويحسب به على الفقراء والضعفاء، أما البخلاء فهم أبعد الناس عن الحق وأبعدهم من قلوب الخلق.

كما لا يليق بالكريم أن يُندب إلى المآثر ندبًا، بل هو السَّبَّاقُ بطبعه، الكريمُ بفطرته، الذي لا يُجيزُ أن يبيت شعبان وجاره إلى جواره جائع، وقد نفى النبي صلى الله عليه وسلم كمال الإيمان عن يفعل ذلك فقال: " لَيْسَ الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَشْبَعُ وَجَارُهُ جَائِعٌ " ⁷⁶.

وهذا أمر أدركه الصحابة رضي الله عنهم، وضربوا لذلك الأمثلة الرائعة، وكان من أروعهم وأبرزهم في هذا المجال عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو في ذلك سَبَّاقٌ وقصته مشهورة، حينما أقبلت إبلة من الشام فجاءه تجار المدينة يهرعون لشراء ما تحمله، فقال لهم في ختام حوارهم معه: " أعطاني الله بالدرهم عشرة إلى سبعمائة ضعف، هل عندكم هذا؟ قالوا: لا. قال: أشهدكم أنها للفقراء، وتصدق بها رضي الله عنه وأرضاه"⁷⁷.

وقد نبه شيخنا محمد مختار الشنقيطي أن هذه الحادثة كانت عام الرمادة⁷⁸. وأرى أنه رحمه الله لم يقف على نص الإمام الأجرى، فقد ذكر عن ابن عباس في بداية الرواية التي ذكرتها قوله: قحط المطر على عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه... وهذا الفعل من عثمان رضي الله عنه سجية فقد كان يقول: خُبب إلي من الدنيا ثلاث: إشباع الجيعان، وكسوة العريان، وتلاوة القرآن⁷⁹.

وإذا كان هذا فعل عثمان في عهد الصديق فما كان ليمتتع عن تقديم ما يستطيعه في عام الرمادة، وهو الذي قدّم من قبل شيئاً كثيراً، منه: أنه جهز ثلث جيش العسرة من ماله، واشترى بئر رومة ليشرب منها الفقير والغني⁸⁰، فهل يتقاصر اليوم ويخل!! فخير عونٍ للخليفة في هذه الأزمان هم الأغنياء الذين يشكلون عوناً وسنداً للأمة حينما تُجذب الأرض أو تقلُّ الأموال أو يكثر المعوزون.

وهذه السيدة عائشة أم المؤمنين تُعَلِّمُ الدنيا الكرم والجود، فتجود بطعامها القليل في دفع ضِرِّ ألمٍ بغيرها، فقد روى الإمام مالك في موطئه " أنه بلغه عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن مسكينا سألتها وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف، فقالت

⁷⁴ [البخاري: صحيح البخاري، العلم/ الاغتباط في العلم والحكمة، 1/35: رقم الحديث 73]. و [مسلم: صحيح مسلم، صلاة المسافرين/ فضل من يقوم بالقرآن، 1/559: رقم الحديث 268-816].

⁷⁵ [الشيخاني: مسند أحمد، 29/298-299: رقم الحديث 17763]، [الأدب المفرد: باب المال الصالح للمرء الصالح، ص112: رقم الحديث 299]، و[البيهقي: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، الزكاة/ ذكر الإباحة للرجل الذي يجمع المال من حله، 8/6: رقم الحديث 3210]، وصححه الألباني، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي على شرط مسلم.

⁷⁶ [الأدب المفرد: باب لا يشبع دون جاره، ص52: رقم الحديث 112]. وصححه الألباني.

⁷⁷ [الأجرى: الشريعة، ذكر فضائل أمير المؤمنين عثمان بن عفان/ باب ذكر إكرام النبي صلى الله عليه وسلم لعثمان، 4/2012: رقم الحديث 1486].

⁷⁸ الشنقيطي، شرح زاد المستقنع (11/156) - محمد بن محمد المختار الشنقيطي - دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية. ورقم الجزء هو رقم الدرس - 417 درسا.

⁷⁹ المسلمان، إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد (ص88-89). ولم يذكر مصدره، ولم أقف عليه إلا عنده.

⁸⁰ انظر [البيهقي: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، مناقب الصحابة/ ذكر نفقة عثمان بن عفان رضي الله عنه في جيش العسرة، 15/348: رقم الحديث 6916] و[الضياء المقدسي: الأحاديث المختارة 1/484: رقم الحديث 360].

لمولاة لها: أعطيه إياه. فقالت: ليس لك ما تظفرين عليه. فقالت: أعطيه إياه. قالت: ففعلت، قالت: فلما أمسينا أهدى لنا أهل بيت أو إنسان ما كان يُهدي لنا شاةً وكفَّنَها⁸¹، فدعتني عائشة أم المؤمنين فقالت: كُلي من هذا، هذا خير من قُرصِك⁸².

المبحث الرابع

الخطوات الاحترازية للتخفيف من آثار المجاعة

إنّ متابعة السلطان المباشرة لشئون أمته وتفقد أحوالهم، يوفر له كمًا كبيرًا من المعلومات الضرورية التي تتيح له التحرك بانتباه ودقة في رعاية مصالحهم، وتقدير أحوالهم، تقديرًا مُنصفًا بعيدًا عن الإفراط والتفريط، وقد أتاحت تلك الحياة البسيطة الجادة التي كان يحياها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بين المسلمين في ليله ونهاره، أتاحت له تقدير الأمور بقدرها طوال فترة خلافته، خاصة في زمن الرّمادة، فاتخذ لذلك عدة محترزات حفظت المسلمين من الزلزل، وحفظت لخليفتهم جمال سلطانه وعدله، ومنها:

المطلب الأول: تأجيل دفع الزكاة:

ما كان عمر -رضي الله عنه- ليجمع على الناس القحط والزكاة، وهو يرى أن أموالهم في تناقص شديد واضمحلال عظيم، حتى لم يبق لأصحاب الأموال الكثيرة إلا القليل الذي لا يَكُر له⁸³.
لذلك لم يبعث سعاته لجمع الزكاة، بل أخر ذلك إلى العام القابل، بعدما دَبَّت الحياة في العُرُوق، وبعث الله في الناس الأنفاس، فكشف الغُمَّة ورفع الجَدْب، فبعث عمر جُبَّاته لأخذ الزكاة، وكان منهم الحارث بن سعد بن أبي ذباب الدّوسي⁸⁴، ومسلمة بن مخد⁸⁵، "وَأَمْرُهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا، فَأَخَذُوا عِقَالَيْنِ، فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَفْسِمُوا عِقَالًا وَيَقْدُمُوا عَلَيْهِ بِعِقَالٍ"⁸⁶.
وفي هذا النصّ فوائد منها:

أولاً: في معنى العِقَال: من العَقْل وهو صدقةُ السنّة إذا أخذ الأسنانَ دون الأثمان. وكأنَّ الأصلَ في هذه التسمية الإبل لأنها التي تُعَقَل.....وقيل هو العِقَال المعروف. وعن محمد بن مَسْلَمَةَ رضي الله عنه : أنه كان يعمل على الصّدقة في عهد رسول الله صلى الله عليه و سلم فكان يأمر الرجل إذا جاء بِفَرِيضَتَيْنِ أن يأتي بعقالهما وقِرَانهما. وكان عُمَرُ -رضي الله عنه- يأخذ مع كل فَرِيضة عِقَالًا وروءًا فإذا جاء المدينة باعها ثم تصدق بتلك العُقُل والأزوية⁸⁷.
ثانياً: الأصل أن تؤدى الزكاة في وقتها ولا تؤخر، قال الشافعي : "ولكن السنّة أخذها في كل سنة، والأمر الذي سمعته من أهل العلم، وإذا فَرَضَ الله الصدقة فكان وقتها السنّة، فلا يجوز تأخيرها، عن وقتها"⁸⁸.
لكنّ هذا المنع ينتقض في حالٍ مثل حال الرمادة، فيجوز تأخير صدقة العام إلى العام المقبل وقبض زكاة العامين معا للضرورة. وهو ما فعله عمر رضي الله عنه تخفيفًا على الناس، وإن كان في حاجةٍ إلى كل ما يُعينه ويساعده على الخروج من هذه الأزمة،

⁸¹ قال ابن عبد البر النمري: وأما قوله شاة وكفَّنَها فإنَّ العَرَبَ أو بَعْضَ وُجُوهِهِمْ كَانَ هَذَا مِنْ طَعَامِهِمْ يَأْتُونَ إِلَى الشَّاةِ أو الخُرُوفِ فَإِذَا سَلَّخُوهُ غَطَّوهُ كُلَّهُ بِعَجِينٍ دَقِيقِ البُرِّ وَكَفَّنُوهُ فِيهِ ثُمَّ عَلَّقُوهُ فِي الثَّنُورِ فَلَا يَخْرُجُ مِنْ وَدَكِهِ شَيْءٌ إِلَّا فِي ذَلِكَ النِّكَفِ وَذَلِكَ مِنْ طَيِّبِ الطَّعَامِ عِنْدَهُمْ. النمري، الاستنكار، الصدقة/الترغيب في الصدقة (ج8/602).

⁸² [مالك: الموطأ، الصدقة/الترغيب في الصدقة، ص 578: رقم الحديث 1831].

⁸³ انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى(ج3/323).

⁸⁴ انظر [ابن زنجويه: الأموال، 2/829]، و [الطحاوي: شرح مشكل الآثار، 10/418: رقم الحديث 4222].

⁸⁵ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج 3/323).

⁸⁶ ابن سعد، الطبقات الكبرى(ج3/323). [الهرودي: الأموال، ص464].

⁸⁷ الزمخشري، الفائق في غريب الحديث (ج3/14) والأروية: هي الحبال، جمع رواء. ابن القطاع، الأفعال(ج2/68).

⁸⁸ [البيهقي: معرفة السنن والآثار، الزكاة/بعث الساعة على الصدقة، 6/78: رقم الحديث 8060].

إلا أن أغلب الأغنياء في مثل هذه الأحوال يصيبهم ما يُصيبُ عامة الناس، خاصة إذا كانت رؤوس أموالهم تعتمد على الزراعة والماشية.

ثالثاً: عدم محاسبة الناس على ما تَلَفَ من أموالهم خلال العامين، فعلى السنة الأولى تستوجب الزكاة والثانية تَهْلِكُ فيها الماشية، فلا يحاسبوا على ما لزمهم في الأولى بسبب نقص الأموال ونفوق الأنعام، فإذا جمع الزكاة في عامين لزمه أن يحاسبهم على الموجود، لا على المفقود الهالك، ففي ذلك حملٌ لهم على ما ليس لهم فيه دخل، والأصل في جمع زكاة العامين معاً الرحمة بالرعية في عام مَحَلٍ وَجَدْبٍ، فكيف يقسو عليهم وهم على ذلك الحال. قال أبو عبيد: "ألا ترى أن عمر قد أخذهم بصدقة عامين، وهو يعلم أن في مثل هذه المدة وأقل منها ما تكون الحوادث بالماشية من الزيادة والنقصان، فلم يشترط عليهم أن يحاسبوا بشيء مما تلف" ⁸⁹.

رابعاً: إنَّ قسمة عَقَالٍ، أي زكاة عام على أهل تلك الناحية التي جُيِّبَتْ منها لهو دليلٌ على حاجة الناس الشديدة وعدم شفائهم من أثر المجاعة، وأنهم أولى بها من غيرهم.

أما احتفاظ عمر بعَقَالِ العام الآخر، فلينعم الخيرُ الناس، فربُّ ناحية يَصْدُرُ عنها عِقَالٌ، وناحية لا يصدر عنها شيء البتة، فعلى المسلمين أن يحملوا بعضهم، لا أن تشعب ناحية، وتموت أخرى، ومسؤولية عمر رضي الله عنه عامة، والكُلُّ مطلوبٌ منه ومسؤول عنه، ودليل ذلك قول بشر الفَرَّازي: "فما وجدَ في بني فَرَّازة كلها إلا ستين فَرَضَةً" ⁹⁰، فَسَمَّ ثلاثين وقَدِمَ عليه بثلاثين ⁹¹. وهو كذلك دليل على شدة السَّنَةِ التي أَلَمَّتْ بهم حتى أنها وبعد عام كامل من ارتفاعها لم يجدوا في بني فَرَّازة كلها غير ستين فَرَضَةً، هي كل مال الزكاة في القبيلة.

وفيه دليل آخر على أن عمر -رضي الله عنه- كان يأخذ أموال الزكاة ممن وجبت عليهم فيردها على فقرائهم ⁹². وقد بعث عمر -رضي الله عنه- مصدقاً ⁹³ عام الرمادة فقال: " أعط من أبقت له السنة غنماً وراعياً، ولا تعط من أبقت له السنة غنمين وراعين" ⁹⁴.

قال ابن أبي نجيح: "يعني بالغنم مائة شاة، وبالغنمين مائتي شاة" ⁹⁵.

وعلق أبو عبيد على قول ابن أبي نجيح بقوله: فأراه في هذا الموضع قد أباح الصدقة لمن هو مالك لمائة من الشاة، وهذا ثمن أواقي كثيرة... لأن هذه المائة في تلك الحال لا تعني مغنى عشر شياه في الخصب، لما أصابها من الجدب والعجف، فرخص عند ذلك في الصدقة ترفقاً بالناس ⁹⁶.

المطلب الثاني: عدم قطع يد السارق

قدمت القول بأن المجاعة أتت على أموال الناس وأنفسهم، حتى أنها أحالت كثيرا من الأغنياء فقراء، فكيف بالفقراء أصلاً!، ومن الطبيعي في مثل تلك الأحوال أن تسوء أخلاق الناس نظراً لعدم توفر ما يدفعون به الفقر، ويسدون به رمق صغارهم،

⁸⁹ [الهروي: الأموال، ص 464]، و [ابن زنجويه: الأموال، 2/829].

⁹⁰ الفريضة: ما يؤخذ من الإبل كزكاة، قال الأزهرى: سميت فريضة لأنها فرضت أي أوجبت في عدد معلوم من الإبل، فهي مفروضة وفريضة، وأدخلت الهاء فيها لأنها جعلت اسماً لا نعتاً. الأزهرى، تهذيب اللغة (ج12/13).

⁹¹ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/323).

⁹² انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/323).

⁹³ مصدق: هو لفظ يطلق على جامع الزكاة، وذلك لأنه كان يصدق ويؤكد قول دافع الزكاة فيما ادعاه من مقدارها، وذلك بمعابنة أصل المال.

⁹⁴ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/323)، [الهروي: الأموال، ص669] وليس في رواية الأموال ذكر للراعي.

⁹⁵ [الهروي: الأموال، ص669]

⁹⁶ [الهروي: الأموال، ص669].

الأمر الذي يحمل بعض الناس على مد أيديهم إلى الآخرين يسألونهم لقمة العيش، كما يحمل آخرين على تجاوز المسموح وولوج الممنوع والمحرم طلباً للإبقاء على الحياة.

وآيات رفع الحرج في حال الاضطرار كثيرة في كتاب الله تعالى منها قوله تعالى: {فَمَنْ أَضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المائدة:3].

وفي عام الرمادة اضطر الجوع بعض الناس إلى السرقة، لا حُباً في السرقة وإنما طلباً لإشباع الجوع، وسدِّ الرَّمق، مع إمكانية أن يتناول بعض ضعاف النفوس فيسرقوا لأجل السرقة، لكن في حال كحال المسلمين في تلك السنة المجذبة كان على عمر أن يتخذ قراراً جريئاً قد يفهمه بعض الناس فهماً خاطئاً، وهو عدم تنفيذ حد السرقة.

فهل عَطَّلَ عمرُ رضي الله عنه عام الرمادة حدَّ السرقة؟

هذا سؤال كثر الحديث حوله: أيقنُّ لعمر أن يجتهد فيوقف تنفيذ حدِّ من حدود الله؟ أم أن الشروط الواجب توفرها لإنفاذ هذا الحدِّ، كانت غير متوفرة بتمامها، فلم يُقِمَ عمرُ الحدَّ لذلك؟

وقبل الإجابة على هذا التساؤل لا بد من التنبيه إلى أن الإسلام في تشريعه للحدود "لا يقرر العقوبات جزافاً، ولا ينفذها كذلك بلا حساب. وله في ذلك نظرة ينفرد بها بين كل نُظُم الأرض،.... ولكنها تمسك بميزان العدالة من منتصفه، وتحيط بالظروف والملابسات كلها في وقت واحد، وتتظر إلى الجريمة في آن واحد بعين الفرد الذي ارتكبها، وعين المجتمع الذي وقعت عليه، ثم تقرر الجزاء العادل. ويقرر الإسلام عقوبات رادعة قد تبدو قاسية فظة لمن يأخذها أخذاً سطحياً بلا تمعن ولا تفكير، ولكنه لا يطبقها أبداً حتى يضمن أولاً أن الفرد الذي ارتكب الجريمة قد ارتكبها دون مبرر ولا شبهة اضطرار. فهو يقرر قطع يد السارق، ولكنه لا يقطعها أبداً وهناك شبهة بأن السرقة نشأت من الجوع..... ونحن نأخذ هذا من مبدأ صريح قرره عمر بن الخطاب، وهو من أبرز الفقهاء في الإسلام.... وعمر لم ينفذ حدَّ السرقة في عام الرمادة، عام الجوع، حيث كانت الشبهة قائمة في اضطرار الناس للسرقة بسبب الجوع"⁹⁷.

وعوداً إلى السؤال السابق، فإنَّ الجواب الذي تؤيده النصوص الشرعية أن عمر لم يعطل حد السرقة، بل دفعه بعدم توفر شروط إقامته، وبالشبهة فيه، ثم إنَّ حدَّ السرقة لا ينفذ إلا إذا استوفى شروط التنفيذ، وارتفع كل ما يمنعه، ومعلوم أنَّ السارق إذا سرق ما يسدُّ به جوعته، ويُبقي به على رمقه فإنه لا يُقطع بذلك، ودليله عدم قطع عمر رضي الله عنه غلمان الصحابي حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه لما سرقوا ناقة المُرَنيّ وذبحوها، فأكلوها، بسبب الجوع الشديد⁹⁸، وواضح أن عمر رضي الله عنه لم يقصد من ذلك تعطيل حد السرقة، غير أنَّ شروط إقامته لم تتوفر.

وتلك قضية فقهية مقررة مفادها: "أن الحدود تُدرأ بالشبهات"، هو ما يفيد حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: "ادْفَعُوا الْخُدُودَ مَا وَجَدْتُمْ لَهَا مَدْفَعاً"⁹⁹.

وبه قال عمر رضي الله عنه، فعن عطاء قال: قال عمر بن الخطاب: "اسْتُرْ مِنَ الْخُدُودِ مَا وَرَكَ أَيِ اذْرَعُوهَا مَا قَدَرْتُمْ"¹⁰⁰.

واحسب أن بعض من عنده من الصحابة وأعيان الناس راجعه في هذه المسألة فأجابه عمر رضي الله عنه: "لَيْنُ أَعْطَلَ الْخُدُودَ بِالشُّبُهَاتِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُقِيمَهَا بِالشُّبُهَاتِ"¹⁰¹.

⁹⁷ قطب، شبهات حول الإسلام (ص152-153)، بتصرف.

⁹⁸ انظر قصتهم في: [البيهقي: السنن الكبرى، السرقة/ما جاء في تضعيف الغرامة، 278/8: 17749].

⁹⁹ [ابن ماجه: سنن ابن ماجه، الحدود/ باب الستر على المؤمن، 850/2: رقم الحديث 2545]، وقد ضعف إسناده البوصيري، مصباح الزجاجة (ج3/103)، والألباني في إرواء الغليل (ج8/26: رقم الحديث 2356).

¹⁰⁰ [الخرائطي: مكارم الأخلاق، ما يستحب للمرء من ستر عورة أخيه المسلم، ص151: رقم الحديث 446]

¹⁰¹ [العيسي: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، الحدود/ في درء الحدود بالشبهات، 5/511: رقم الحديث 28493].

وهو مذهب قوي عند الصحابة فقد روي أن معاذ بن جبل، وابن مسعود وعقبة بن عامر رضي الله عنهم، قالوا: "إِذَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ الْحَدُّ، فَادْرَأْهُ"¹⁰².

وقد علقت هيئة كبار العلماء على قصة غلمان حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، بأن الشبهة فيها "أنه رأى السارقين في حال جوع شديد واضطرار، ويعلم كل فقير أن الضرورات تبيح المحظورات، وأن من كان في حال جوع يتعرض فيه للتلف إذا لم يأكل يباح له مال غيره بقدر ما يسد رمقه، وإذا منعه فقاتله فقتل صاحب الطعام لا دية فيه، والقصة تنبئ عن ذلك، ولذلك يقرر فقهاء الحنابلة وكثيرون غيرهم أن من شرط إقامة الحد في السرقة ألا يكون السارق قد سرق طعامه في مجاعة، لمكان شبهة الاضطرار في إقامة الحد"¹⁰³.

المطلب الثالث: توزيع الفقراء على الأسر التي تجد كفايتها.

إن مساندة من يستطيع لمن لا يستطيع واجب شرعي، وأدب إنساني، والأمر لا يقتصر على بذل المال لمن لا يستطيع فحسب، لكن يمكن أن تتسع دائرة المساعدة لتشمل كثيرًا من البيوت، خاصة تلك البيوت التي لم تتأثر من القحط وبقيت واقفة، تجد ما تأكله في يسر ورخاء، وإن لم يزد هذا النيسر عن حاجتها إلا أنه يكفيها كفاية مرضية.

لذا وأمام اشتداد هذه الأزمة القاتلة، والمجاعة الفتاكة، وتدحرجها كل يوم لتصبح أكبر وأعنف، فقد تبدى لعمر رضي الله عنه خاطر لم يعمل به، لكنه ادخره لقبال الأيام، لحال اشتداد الأزمة واستمرارها، ومفاده: أن يجعل مع كل أهل بيت مثلهم من فقراء المسلمين. وقد أفصح عن خاطره هذا وأعلنه لخاصته ومعاونه فقال: "نُطِعم ما وجدنا أن نطعم، فإن أعوزنا جعلنا مع أهل كل بيت ممن يجد عِدَّتَهُم ممن لا يجد، إلى أن يأتي الله بالحق"¹⁰⁴.

وأكدته مرة أخرى تشعر بتفاعل الفكرة في ذهنه، وأخذها لجوامع نفسه فقال: لو لم أجد للناس من المال ما يَسْعُهُمْ إِلَّا أَنْ أُدْخِلَ عَلَى كُلِّ أَهْلِ بَيْتٍ عِدَّتَهُمْ فَيُقَاسِمُونَهُمْ أَنْصَافَ بُطُونِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِحَيَا فَعَلْتُ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْلِكُوا عَنْ أَنْصَافِ بُطُونِهِمْ"¹⁰⁵.

لقد بذل أقصى ما يستطيع، ولم يدخر جهدًا في توفير ما يستطيع توفيره من قوت ولباس للمسلمين، حتى كشف الله الغمّة، وفي ذلك يقول ولده عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: "كانت سنة شديدة مُلِمَّةً بعد ما اجتهد عمر في إمداد الأعراب بالإبل والقمح والزيت من الأرياف كلها، حتى بلحت الأرياف كلها مما جهدها ذلك، فقام عمر يدعو فقال: اللهم اجعل رزقهم على رؤوس الجبال، فاستجاب الله له وللمسلمين، فقال حين نزل به الغيث: الحمد لله، فوالله لو أن الله لم يفرجها ما تركت أهل بيت من المسلمين لهم سعة إلا أدخلت معهم أعدادهم من الفقراء، فلم يكن اثنان يهلكان من الطعام على ما يُقيم واحدًا"¹⁰⁶.

ويُلمح من قول عمر رضي الله عنه تقريره وإصراره على إمضاء هذا الرأي في حال استمرار المجاعة لعام قادم، بل وتعميم الفكرة وشمولها لكل بيت يمكنه احتمال بيت آخر معه.

وقول عمر هذا ليس غريبًا عن الإسلام، فمعلوم أن طعام الواحد يكفي الاثنين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: "طعام الاثنين كافي الثلاثة وطعام الثلاثة كافي الأربعة"¹⁰⁷.

ومدلول الحديث أن الاثنين يُفضّل عنهما طعامٌ يكفي واحدًا آخر دون أن يمسهما جوعٌ أو تعبٌ.

¹⁰² [العبيسي: الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، الحدود/ في درة الحدود بالشبهات، 5/511: رقم الحديث [28494].

¹⁰³ هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية، أبحاث هيئة كبار العلماء (ج4/223). و انظر الزحيلي، الفقه الإسلامي وأدلته (ج7/284).

¹⁰⁴ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج 3/316).

¹⁰⁵ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج 3/316).

¹⁰⁶ [البخاري: الأدب المفرد، الموساة في السنة والمجاعة، 1/198: رقم الحديث [562] وقال الألباني: صحيح.

¹⁰⁷ [مسلم: صحيح مسلم، الأشربة/ فضيلة الموساة في الطعام القليل، 3/1630: رقم الحديث [2058]

لكن رواية جابر بن عبد الله رضي الله عنه أعم وأشمل وأوسع من الرواية الأولى، فقد نبّهت على أن الاثنين يزيد عن حاجتهما ما يكفي اثنين آخرين لا واحدا... وهكذا... فعنه قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "طَعَامُ الْوَاحِدِ يَكْفِي الْاِثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الْاِثْنَيْنِ يَكْفِي الْأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الْأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ"¹⁰⁸.

بل هناك أزيد من ذلك ففي رواية البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه تفيد أن طعام الواحد يكفي الثلاثة، كما قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: "طعام الواحد كافي الثلاثة، وطعام الثلاثة كافي الأربعة"¹⁰⁹.

وقد جرت العادة أن يزيد الأكل عن حاجة الآكلين، وربما أكلوه في الغد، أو ألْقُوا به لدوابِّ الأرض، وحتى لو لم يزد فإنه يكفيهم ليومين، إذا تَحَرَّوا ملاء نصف البطن لا كُلَّهُ، ومعلوم أن الإنسان لا يموت ولا يَهْلِكُ على نصف بطنه كما قال عمر رضي الله عنه.

وقد علّق أبو عمر بن عبد البر على حديث الشيخين الذي رواه أيضا مالك في الموطأ¹¹⁰ فقال: "فأما الكفاية والاكتفاء فليس بالشَّبَحِ والاستغناء، ألا ترى إلى قول أبي حازم رحمه الله:

إذا كان لا يُغْنِيكَ ما يكفيك..... فليس في الدنيا شيء يغنيك¹¹¹.

ومن هذا الحديث - والله أعلم - أخذ عمر بن الخطاب فعله عام الرمادة حين كان يدخل على أهل كل بيت مثلهم ويقول لن يهلك امرؤ عن نصف قوته"¹¹².

المبحث الخامس

مفاتيح الإغاثة

إذا كان من الواجب استنفاد الجهد في اتخاذ الوسائل المادية والتدابير الاقتصادية لمواجهة المجاعة النازلة فإن وسائل أخرى لها دور عظيم في دفع شر هذه الأزمة ومثيلاتها، وهي لا تحتاج أكثر من الصدق وحسن التوجه إلى الله ثم رفع أكف الضراعة والتذلل إليه، ويمكن اعتبارها مفاتيح إغاثة لمن انقطعت به السبل، كما قال تعالى: {أَمَّنْ تُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ لَهُ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ} [النمل:62]، ومن هذه المفاتيح وأعظمها:

المطلب الأول: الدعاء، والاستغفار.

إن للوسائل المعنوية والدعوات الربانية قيمة لا تقل أهمية عن سابقتها من الوسائل المادية، وهو معلوم لدى المسلمين بالضرورة، فالدعاء جزء من حياتهم، لا تخلو منه لحظاتهم ودقائقهم في أبسط الأمور وصغيرها، فكيف لا يُنْتَقَتُ إليه ولا يُؤْبَهُ له في عظيمها وخطيرها؟ وكيف لا يُلْجَأُ المسلمون إلى ربهم ويدعونه وهم يعلمون أن "الدعاء هو العبادة"¹¹³؟ وأنه هو وسيلتهم الأولى إلى ربهم الذي طلب منهم الدعاء ليستجيب لهم فقال: "وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ" [غافر:60]، وأعلمهم أنه قريب

¹⁰⁸ [مسلم: صحيح مسلم، الأثرية/ فضيلة الموساة في الطعام القليل، 1630/3: رقم الحديث 179-2059]

¹⁰⁹ [البخاري: صحيح البخاري، الأطعمة/ طعام الواحد يكفي الاثنين، 2061/5: رقم الحديث 5077].

¹¹⁰ [مالك: الموطأ، صفة النبي صلى الله عليه وسلم/ جامع ما جاء في الطعام والشراب، ص539: رقم الحديث 1676]

¹¹¹ [النمري، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (ج25/19). النمري، جامع بيان العلم وفضله (ج1/739)].

¹¹² [النمري، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (ج25/19)].

¹¹³ [السجستاني: سنن أبي داود، الصلاة / الدعاء، 466/1: رقم الحديث 1479]. و[الترمذي: سنن الترمذي، الدعوات - باب ما جاء في فضل الدعاء، 316/5: رقم الحديث 3372]. و[ابن ماجة: سنن ابن ماجة، الدعاء - باب فضل الدعاء، 1258/2: رقم الحديث 3828]. وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

منهم، فما عليهم إلا الدعاء، أما الإجابة فعليه سبحانه: {وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ} [البقرة: 186].

الأمر الذي كان عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- يفقهه جيداً، ويعلم أن هذه العُمة لن تتجلي إلا إذا لهج لسان كل مسلم بالدعاء. ولهذا كان يطوف المدينة، يجوب شوارعها وأزقتها يحضُّ الناس على الابتهاج والدعاء، وأن يرفع الله المجاعة عن المسلمين، ويقول: "أيها الناس ادعوا الله أن يُذهب عنكم المَحَلَّ" 114.

فعل بعضهم أصدق دعاء منه، وأقرب إلى الله منه، - وهو الذي لا يُزكِّي نفسه على الله-، أو لعلَّ شيخاً هرمًا، أو امرأة عجوزًا، أو ضعيفًا أو مسكينًا، أو أرملةً محزونةً، أو زوجةً لأسيرٍ أو مجاهد، يرفع أحدهم كَفَّ الضَّرَاعَةَ بصدق، يدعو مولاه في خفاء، فيستجيب الله له، كما قال صلى الله عليه وسلم: "هل تُنصرون وتُزقون إلا بضغائكم" 115.

أما هو فكان له ورده الخاص مع ربه، ومناجاته المحزونة، ودعوته المتذلة بين يدي مولاه. وإذا كان له في الأيام الخالية ورْدٌ محدد في ساعات محددة من ليلٍ أو نهار، فورده في الأزمات والمحن وفي جوعة المسلمين يجب أن يتضاعف، وأن يعظم الإخلاص فيه، وظلمة الليل أنيس المكلومين، ومنتزه المهومين، ومراحُ الداعين.

يحدث عنه ولده عبدالله -رضي الله عنهما-، فيقول: "كان عمر بن الخطاب أحدث في زمان الرَّمَادَةِ أمرًا ما كان يفعله، لقد كان يصلي بالناس بالعشاء، ثم يخرج حتى يدخل بيته، فلا يزال يُصلي حتى يكون آخر الليل، ثم يخرج فيأتي الأنقاب 116 فيطوف عليه، وإنني لأسمعه ليلةً في السحر وهو يقول: اللهم لا تجعل هلاك أمة محمد على يدي" 117.

وإذا كان في بعض الأحيان يقوم الليل في بيته يدعو ويبتهل، فإنه في أحيان أخرى كان يقومه في المسجد، ولا يَبْعُدُ أن يجمع بين القيامين في ليلةٍ واحدة، فكيف يَغْمُضُ له جفنٌ، أو تنام له عين، وهو يرى كل يوم أطفالاً يتضاغون، وفقراء يتسولون، ونساءً يبحثن في قمامة الأغنياء عن لقمة خبز. صورٌ تهزُّ الصخر، فكيف لا تهزُّ قلبَ عمرَ البارِّ، وكيف لا تُبكي روحه فضلًا عن عينيه. فكان يدخل بيته بعد العشاء فيصلي ما شاء الله له أن يُصلي، ويدعو ما شاء الله له أن يدعو، ثم تحمله تلك الصور المؤرقة على الخروج من بيته في ظلمة الليل لينظر في أنقابها وبين طرقاتها وأزقتها الضيقة، أو عند مداخل المدينة الرئيسية، فلعل لاجئًا حديثًا طرق المدينة وهو بحاجة إلى مساعدة، أو لعل عائلةً منسيَّةً غفل عنها رجاله في بعض أزقتها، فيذكُرهم ويُعينهم، ثم يعود من جولته وقد اقترب الفجر، فيقوم بقيَّة ليله في المسجد يدعو ويلجُّ في الدعاء أن يرفع الله المحنة ويكشف السنَّة. أو يؤمن على دعاء كسيرٍ لم يجد منزلًا له غير مسجد النبي صلى الله عليه وسلم.

فعن يزيد بن سعيد بن ثمامة الكندي قال: "رأيتُ عمر بن الخطاب يصلي في جوف الليل في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلم زمان الرمادة، وهو يقول: اللهم لا تهلكنا بالسنين، وارفح عنا البلاء. يردد هذه الكلمة" 118.

كما كان يعتنم أحيانًا تواجد المسلمين في المسجد، فينادي فيهم بعد المكتوبة حائًا لهم على الدعاء والتضرع، يلتمس بذلك مجهولاً مأمولاً، فلعل ضعيفًا غير مُلتفتٍ إليه يلهج بلسان الحاجة والصدق، يُصادف دعاؤه بابًا مفتوحًا وإجابة لا تتأخر، يرحم الله بنجواه المسلمين، ويكشف بدعائه محنتهم.

114 ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/320).

115 [البخاري: صحيح البخاري، الجهاد/ من استعان بالضعفاء والصالحين في الحرب، 1061/3: رقم الحديث 2739]

116 الأنقاب: مفردا نقب، ويقال النَّقْبُ والنَّقْبُ: طريق ظاهر على رءوس الجبال والأكام والروابي. انظر الفراهيدي، العين (ج5/ 179). والجوهري، الصحاح (ج1/227).

117 ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/312).

118 ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/319).

كان يعلم - رضي الله عنه - أن الدعاء مفتاح الإغاثة، وسبيل المطر، وأن الاستغفار، والبراءة من الذنوب والخطايا طريق الغيث إلى أهل الأرض، فما حُيس غيثٌ عن الناس إلا بخطاياهم، فعن سليمان بن يسار قال: "خطب عمر بن الخطاب الناس في زمان الرمادة فقال: أيها الناس، اتقوا الله في أنفسكم وفيما غاب عن الناس من أمركم، فقد ابتليت بكم، وابتليتكم بي، فما أدري ألسخطة عليّ دونكم، أو عليكم دوني، أو قد عمّتي وعمتكم، فهلموا فلندعُ الله يصلح قلوبنا، وأن يرحمنا، وأن يرفع عنا المحل، قال: فرئي عمر يومئذٍ رافعاً يديه يدعو الله، ودعا الناس، وبكى، وبكى الناس ملياً، ثم نزل"119.

وعن عبدالله بن ساعدة قال: "رأيت عمر إذا صلى المغرب نادى: أيها الناس، استغفروا ربكم ثم توبوا إليه وسلوه من فضله واستسقوا سُقياً رحمة لا سُقياً عذابٍ. فلم يزل كذلك حتى فرج الله ذلك"120.

وقوله: "فلم يزل كذلك حتى فرج الله ذلك"، يفيد الاستمرارية في قرع باب الدعاء، وحث المسلمين عليه، حتى رفع الله المجاعة. المطلوب الثاني: صلاة الاستسقاء.

إنَّ مما يُستعان به على رفع القحط، ونزول المطر بعد انحباسه صلاة الاستسقاء، وهي: طلب سقي الماء، ومعناه هنا طلبه من الله تعالى عند حصول الجذب وانقطاع المطر"121.

ولصلاة الاستسقاء صور عدة ذكرها أهل الفقه في مصنفاتهم"122.

والاستغفار أصل في الاستسقاء: كما قال الله تعالى: { فَكَلَّمْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا } [نوح: 10-11]

وهو ما لجأ إليه عمر رضي الله عنه عام الرمادة، فعن الشعبي "أن عمر خرج يستسقي فقام على المنبر فقرأ هذه الآيات: كما قال الله تعالى: { فَكَلَّمْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا }، ويقول: استغفروا ربكم ثم توبوا إليه ثم نزل.

فقيل: يا أمير المؤمنين، ما منعك أن تستسقي؟ قال: قد طلبت المطر بمجاديح"123 السماء التي ينزل بها القطر"124.

والمدقق في النصوص والروايات الواردة في استسقاء عمر يدرك أن عمر رضي الله عنه أتى بصلاة الاستسقاء على وجوهها المتعددة، وأنه لم يدعها حتى اللحظة الأخيرة، وأنه أداها عدة مرات، وهذا دأب الناس حتى يومنا هذا، فإنهم إذا تأخر المطر دعوا الله، ولا يزالون في تكرار لصلاة الاستسقاء حتى يأذن الله بغوثهم فيأتيهم ما يُنعش نفوسهم، ويحيي قلوبهم. فعن جابر بن عبدالله -

119 ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/322).

120 ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/320).

121 سابق، فقه السنة (ص150).

122 انظرها في، سابق، فقه السنة (ص150-152).

123 مجادح السماء: واجدها مجدح، والبناء زائدة للإشباع، والقياس أن يكون واجدها مجدح، فأما مجدح فجمعه مجادح. والمجدح: نجم من النجوم. وقيل هو الدبران. وقيل هو ثلاثة كواكب كالأنافي؛ تشبيهاً بالمجدح الذي له ثلاث شعب، وهو عند العرب من الأنواء الدالة على المطر، فجعل الاستغفار مُشَبَّهاً بالأنواء، مخاطبة لهم بما يعرفونه، لا قولاً بالأنواء. وجاء بلفظ الجمع لأنه أراد الأنواء جميعها التي يزعمون أن من شأبها المطر. الجزري، النهاية في غريب الحديث (ج1/243).

124 ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/320)، وقد رواه بنحوه: [الصنعاني: المصنف، الصلاة: الاستسقاء، 86/3: رقم الحديث 4902] و [سعيد بن منصور:

سنن سعيد بن منصور، 5/535].

رضي الله عنه- قال: "أصابتنا سنة الرمادة فاستسقيناً، فلم نُسَقْ، ثم استسقيناً، فلم نُسَقْ، ثم استسقيناً، فلم نسق، فقال عمر: لأستسقين غدا بمن يُسقينني الله، فقال الناس: بمن؟ بعلي، بحسن، بحسين؟ فلما أصبح غداً إلى منزل العباس...¹²⁵. ثم لا بدّ من الإلحاح في الاستسقاء، وطلبه المرة تلو المرة تلو المرة. واليأس في هذا الأمر مرفوض، لأن الإجابة قد تتأخر لحكمة يعلمها الله.

ومن الصور المهيبة التي شوهدت عام الرمادة، ذاك النفير العام لصلاة الاستسقاء، وخروج الناس في كل أرجاء الدولة الإسلامية لأدائها في ساعة واحدة، وكان الذي استثار الفاروق لهذه الصلاة الجامعة العظيمة في عددها والاستعداد لها، رؤيا رآها أحد المسلمين وأخبره بها، فعن عاصم بن عمر بن الخطاب قال: "قَطَّ النَّاسُ زَمَانَ عَمْرَ عَامًا، فَهَزَلَ الْمَالُ، فَقَالَ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ مَزِينَةَ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ لِصَاحِبِهِمْ: قَدْ بَلَّغْنَا، فَانْبِجْ لَنَا شَاةً، قَالَ: لَيْسَ فِيهِنَّ شَيْءٌ، فَلَمْ يَزَلُوا بِهِ حَتَّى ذَبَحَ لَهُمْ شَاةً، فَسَلَّخَ عَنْ عَظْمٍ أَحْمَرَ، فَنَادَى: يَا مُحَمَّدَاهُ! فَأَرِي فِيمَا يَرَى النَّائِمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَتَاهُ، فَقَالَ: أُبَشِّرُ بِالْحَيَا! ائْتِ عَمْرَ فَأَقْرُئْهُ مِنِّي السَّلَامَ، وَقُلْ لَهُ: إِنَّ عَهْدِي بِكَ وَأَنْتَ وَفِي الْعَهْدِ، شَدِيدَ الْعَقْدِ، فَالْكَيْسَ الْكَيْسَ يَا عَمْرُ! فَجَاءَ حَتَّى أَتَى بَابَ عَمْرَ، فَقَالَ لِعَلَامِهِ: اسْتَأْذِنْ لِرَسُولِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَى عَمْرَ فَأَخْبَرَهُ، فَفَزِعَ، وَقَالَ: رَأَيْتَ بِهِ مَسًّا؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَادْخُلْهُ، فَدَخَلَ فَأَخْبَرَهُ الْخَبْرَ، فَخَرَجَ فَنَادَى فِي النَّاسِ، وَصَعِدَ الْمَنْبِرَ، وَقَالَ: أُنْتُدُّكُمْ بِالَّذِي هَدَاكُمْ لِلْإِسْلَامِ، هَلْ رَأَيْتُمْ مِنِّي شَيْئًا تَكْرَهُونَهُ؟ قَالُوا: اللَّهُمَّ لَا، قَالُوا: وَلِمَ ذَلِكَ؟ فَأَخْبَرَهُمْ، فَفَطَنُوا وَلَمْ يَفْطِنُوا، فَقَالُوا: إِنَّمَا اسْتَبْطَأَكَ فِي الْإِسْتِسْقَاءِ، فَاسْتَسْقِ بِنَا، فَنَادَى فِي النَّاسِ، فَقَامَ فَخَطَبَ فَأَوْجَزَ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَأَوْجَزَ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ عَجَزْتُ عَنَّا أَنْصَارُنَا، وَعَجَزَ عَنَّا حَوْلُنَا وَقُوَّتُنَا، وَعَجَزَتْ عَنَّا أَنْفُسُنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ، اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا، وَأَحْيِ الْعِبَادَ وَالْبِلَادَ"¹²⁶.

ويلزم في صلاة الاستسقاء أن يخرج الجميع حتى تخرج النساء والولدان والدواب طلباً للسُّقيا، فعمل بعض المسلمين أرجى عند ربه وأقرب وأصدق فيستجيب الله له، ثم إنَّ هذا الخروج الجماعي إلى الفضاء الرحب صورة من صور التذلل والالتجاء إلى العظيم الرحيم سبحانه.

وقد اتخذ عمر جملة من التراتيب لصلاة الاستسقاء هذه أهمها:

-أنه دعا الناس عامة ليوم معلوم، لأنَّ المسلم بالمسلم يتقوى، ودعاء المسلمين لبعضهم مستجاب بإذن الله، فعن أبي وَجْرَةَ السَّعْدِيِّ عن أبيه قال: "كانت العرب قد علمت اليوم الذي استسقى فيه عمر، وقد بقيت غَبْرَاتٍ مِنْهُمْ، فَخَرَجُوا يَسْتَسْقُونَ كَأَنَّهُمْ النُّسُورُ الْعِجَافُ تَخْرُجُ مِنْ وَكُورِهَا يَعْجُونَ إِلَى اللَّهِ"¹²⁷.

-ويظهر أنَّ هذا الاستسقاء هو الأشهر، وكانَّ الدعوة كانت عامة لهذا اليوم ولكل الناس والنواحي، فقد أرسل لولاته على الأقاليم والنواحي أن يخرجوا كذلك، فعن نَبَّارِ الْأَسْلَمِيِّ قال: "لَمَّا أَجْمَعَ عَمْرُ عَلَى أَنْ يَسْتَسْقِيَ وَيَخْرُجَ بِالنَّاسِ، كَتَبَ إِلَى عَمَالِهِ أَنْ يَخْرُجُوا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، وَأَنْ يَتَضَرَّعُوا إِلَى رَبِّهِمْ، وَيَطْلُبُوا إِلَيْهِ أَنْ يَرْفَعَ هَذَا الْمَحَلَّ عَنْهُمْ"¹²⁸.

-وليس في ذلك اليوم بُرْدًا كان للنبي -صلى الله عليه وسلم-¹²⁹، ومراده من ذلك أن يتقرب إلى الله بشيء من أثر النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

¹²⁵ ابن عساکر، تاریخ دمشق (ج361-362).

¹²⁶ الطبري، تاریخ الطبري (ج4/99-100). ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج375/2). ابن كثير، البداية والنهاية (ج73/10). وقد رواه [العبيسي: المصنف في الأحاديث والآثار، باب ما ذكر في فضل عمر، 356/6: رقم الحديث 32002]، [البيهقي: دلائل النبوة، ما جاء في رؤية النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، 47/7] مختصراً ومقتصراً على الرؤيا.

¹²⁷ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/322).

¹²⁸ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/321-320).

¹²⁹ انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/320-321).

- واستعلم من العباس رضي الله عنهما عن موسم الأمطار، وتحرى وقت نزول الغيث، فتحرى الشيء في وقته عين الرشد والصواب، لذا سأل العباس: "يا أبا الفضل، كم بقي علينا من النجوم؟ قال العواء¹³⁰. قال: كم بقي منها؟ قال: ثمانية أيام. قال عمر: عسى الله أن يجعل فيها خيراً"¹³¹.

قال الشافعي: "وقول عمر رضي الله عنه هذا يبين ما وصفت لأنه إنما أراد كم بقي من وقت الثريا لمعرفتهم بأن الله تعالى قدر الأمطار في أوقات فيما جربوا، كما علموا أنه قدر الحر والبرد فيما جربوا في أوقات"¹³².

وهذا عين الصواب أن يتحرى الشيء في موضعه ووقته، فقد قدر الله المواقيت، وقدر فيها أرزاق العباد والمخلوقات، وأقام عليها نظاماً محكماً ونواميس في هذا الكون لا يصلح إلا بها، فما يصلح في الصيف لا يصلح في الشتاء، وما يصلح في الشتاء لا يصلح في الصيف .. وهكذا، والله عليم حكيم.

- ولم يكتف عمر بالاستعلام من العباس عن موعد الوسم وتاريخه بل طلب منه أن يخرج معه ليستسقي للمسلمين، وفي ذلك إشارة إلى تقديم الصالحين والأنقياء للصلاة والدعاء.

وقد كان من عادة عمر - رضي الله عنه - إذا قحطوا أن يقدم العباس - رضي الله عنه - فيقول: "اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا. قال: فيسقون"¹³³.

وعهدهم بالعباس - إضافة إلى التقوى والصلاح - أنه مستجاب الدعاء كما في مرات سابقة، ومكانته معروفة وصلته بالنبي صلى الله عليه وسلم وقربته له معروفة، وما كان عمر لينسى فضل العباس رضي الله عنه.

والقرباية من الأنبياء لا تغني إذا لم تحط بالتقوى والدين، وهو ما توافر في العباس رضي الله عنه، ولذلك كان لقربته دور في تقديمه للصلاة في هذا اليوم الحاشد، وقد تنبه لذلك كعب الأبحار فقال لعمر رضي الله عنه: "إن بني إسرائيل كان إذا أصابهم مثل هذا استسقوا بعصبة الأنبياء. فقال عمر: هذا العباس عم النبي صلوة، وصنو أبيه، وسيد بني هاشم، فمشى إليه وكلمه، وخرج معه الناس إلى المستطير، ودعا عمر والعباس رضي الله عنهما، فسقوا"¹³⁴.

قال ابن حجر: ويستفاد من قصة العباس استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة، وفيه فضل العباس، وفضل عمر لتواضعه للعباس ومعرفته بحقه¹³⁵.

¹³⁰ العواء: وهو أربعة نجوم من النجوم الشامية، تشبه حرف اللام المعكوسة، ويقال أنها روك الأسد، وقيل له العواء لأنه يبدو يعوي كما الذئب، ويعرف عند أهل الحرث والزراعة بثريا الوسم، وطالع العواء: هو أول طالع من نجوم الوسم الذي عدد أيامه (52) يوماً، وطالع العواء بدايته 10/16 أكتوبر (تشرين الأول)، وعدد أيامه (13) يوماً. www.AL-QABABNH.COM.

¹³¹ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/321).

¹³² [البهقي: السنن الكبرى، صلاة الاستسقاء/كراهية الاستمطار بالأنواء، 3/358: رقم الحديث 6682]. و [البهقي: معرفة السنن والآثار، صلاة الاستسقاء/كراهية الاستمطار بالأنواء، 5/181: رقم الحديث 7227].

¹³³ [البخاري: صحيح البخاري، الاستسقاء/سؤال الناس الإمام الاستسقاء، 1/342: رقم الحديث 964].

وطلب الشفاعة منه في حياته بمعنى طلب أن يدعو لهم ربّه ... وأما التي نهى عنها الشرع فهو طلب الشفاعة من المخلوق الذي ليس بحي - ميت - أو هو غائب فإنه شرك بالله ... ولهذا نقول: كل طلب شفاعة من الأموات أو الغائبين ممن لا يملكها أو لا يستطيعها أو لم يؤذن له فيها شرعاً في حياة البرزخ فإن هذه من الشرك بالله. انظر آل الشيخ، اتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل (ج15/21).

¹³⁴ المطهر المقدسي، البدء والتاريخ (ج5/187).

¹³⁵ العسقلاني، فتح الباري (ج2/497).

وذكر ابن عساكر أنَّ الناس كرروا الاستسقاء عام الرمادة فلم يُسَقُوا، فقال عمر: لأستسقين غداً بمن يسقيني الله به، فلما أصبح غدا للعباس فدق عليه الباب، فقال: من؟ قال: عمر.

قال: ما حاجتك؟ قال: اخرج حتى نستسقي الله بك¹³⁶.

- أما عمر - رضي الله عنه - فخرج يوم الاستسقاء خاشعاً، متواضعاً، باكياً، يجأ بالدعاء إلى الله، قال السائب بن يزيد: نظرت إلى عمر بن الخطاب يوماً في الرمادة غداً مُتَبَدِّلاً مُتَضَرِّعاً عليه بُرْدٌ لا يبلغ ركبته يرفع صوته بالاستغفار وعينه تهرقان على خديه¹³⁷.

- وكان قبل الدعاء قد صلى ركعتين وكبر فيهما سبعاً وخمساً، ثم خطب الناس وحثهم على صدق التوجه والدعاء والفرع إلى الله تعالى¹³⁸.

- ثم أخذ بيد العباس ورفعها وقال: "اللهم إنا نتشفع إليك بعم نبيك أن تذهب عنا المحل، وأن تسقينا الغيث"¹³⁹.

وفي رواية أنه قال: "اللهم إنَّ هؤلاء عبادك وبنو إيمانك، أتوك راغبين متوسلين إليك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم، فاسقنا سُقياً نافعةً تَعْمُ البلادَ وتحبي العباد، اللهم إنَّا نستسقيك بعم نبيك صلى الله عليه وسلم، ونستشفع إليك بشيبتيه، فسُقُوا"¹⁴⁰.

وكان العباس قد طال عمره وعينه تذرقان ولحيته تجول على صدره وهو يقول: "اللهم أنت الراعي فلا تُهمل الضَّالَّةَ، ولا تدع الكسير بدار مَضِيعةٍ، فقد صرخ الصغيرُ، ورقَّ الكبيرُ، وارتفعت الشكوى، وأنت تعلم السرَّ وأخفى، اللهم فأغْضهم بغناك قبل أن يُفْنَطُوا فيهلكوا، فإنه لا يئأس إلا القوم الكافرون. فنشأت طُريرةً¹⁴¹ من سحابٍ، فقال الناس: تَرُونَ تَرُونَ! ثم التأمَّتْ ومَشَّتْ فيها ريحٌ، ثم هذأتْ ودرَّتْ، فوالله ما تَرَوْحُوا حتى اعتنقوا الجدار، وقَلَصُوا المآزر، فطفق الناس بالعباس يمسخون أركانه ويقولون: (هنيئاً لك ساقى الحرمين!)¹⁴².

- ثم كان عمر - رضي الله عنه - يكثر من التكبير، ويحث المسلمين عليه، فكما أنَّ التكبير يطفئ النار، فإنَّ التكبير يطفئ الجذب ويذهب به، فالله أكبر من النار، وأكبر من الجذب والمجاعة، وهو قادر على الذهاب بها، واستبدالها بخيرٍ ومطرٍ عميم. ثم إنَّ التكبير إقرارٌ بعظمة الله الأكبر من كل شيء، والقادر على كل شيء، والمستحق للذكر والتمجيد والتكبير في كل حين، في المسجد والشارع والمزرعة والمعمل...، وتلك لحظات يجب فيها إعلان الخضوع لله وتعظيمه، وهو ما كان يفعله عمر رضي الله عنه ويحث المسلمين على فعله، إن لم يكن بالأمر، فبالقدوة والفعل. فعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: كُنَّا في الرمادة وجعل عمر يُظهر التكبير، كلما دخل وخرج، ويكبرُ الناس، حتى نظرنا إلى سحابة سوداء طلعت من البحر ثم تشاءمت فكانت الحيا بإذن الله¹⁴³.

¹³⁶ انظر تنمة الرواية في ابن عساكر، تاريخ دمشق (ج3/26/362). الهيثمي، الصواعق المحرقة (ج2/518-519). الحلبي، السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (ج2/67).

¹³⁷ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/321).

¹³⁸ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/321).

¹³⁹ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/321).

¹⁴⁰ ابن العديم، بغية الطلب في تاريخ حلب (ج3/1220).

¹⁴¹ طُريرة من السحاب: الطُريرة: نُصْغِيرُ الطَّرَّةِ، وَهِيَ قِطْعَةٌ مِنَ السَّحَابِ تَبْدُو مِنَ الْأَفْقِ مُسْتَطِيلَةً. الجزري، النهاية في غريب الحديث (ج3/118).

¹⁴² ابن الأثير، الكامل في التاريخ (ج2/376).

¹⁴³ ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج3/322).

ومن باب الشكر لله ثم اعترافاً بفضل العباس ومكانته، فقد وقف عمر بعد انقضاء المحنة خطيباً في الناس، فقال: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَانَ يَرَى لِلْعَبَّاسِ مَا يَرَى الْوَلَدُ لِوَالِدِهِ، وَيُعْظِمُهُ وَيُعْظِمُهُ فَأَقْتَدُوا أَيُّهَا النَّاسُ بِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي عَمِّهِ الْعَبَّاسِ وَاتَّخِذُوهُ وَسِيلَةً إِلَى اللَّهِ فِيمَا نَزَلَ بِكُمْ¹⁴⁴.

المبحث السادس

خلايا الأزمة

(الفرق العاملة لتفكيك محنة المجاعة)

من المقبول جداً القول بأن الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لم يواجه المجاعة بشدائدها الكثيرة وحده، بل شكّل مجموعات وفرقاً وخلايا تساعده وتعينه على دفع هذا الطارق الكريه. فالأزمات الكبيرة تحتاج إلى جهود عظيمة لتفكيكها والإجهاز عليها.

وعلى الرغم من أن النصوص التي بين أيدينا لا تكشف عدد هذه الفرق على نحو واضح، إلا أن فيها إشارات لبعضها. وفيما تفرضه طبائع الأمور ما يمكن الجزم بوجوده لاستحالة إغفاله -رضي الله عنه- لها في تلك الأحوال الشديدة. وأعظم هذه الفرق، وأولها، وأعلاها رتبة، تلك الجماعة التي لا يستغني عنها كل عاقلٍ حسن التدبير، وهم أهل الشورى ومجلس الصدق والأمانة، وكان مجلس الفاروق هذا يتكون من أعيان الصحابة وكبرائهم الذين يلقاهم كل صباح ومساءً، ولست بصدّد الحديث عن هذا المجلس، فجلالته تفرض إفراده بالبحث. أما الفرق الأخرى فقد استخلصتها مما ورد في صفحات البحث المتقدمة، ومنها:

فرقة استقبال اللاجئين وتوديمهم:

فما أن بدأت طلائع الجوعى تصل أطراف المدينة حتى انتدب عمر رضي الله عنه فريقاً من خاصته وموضع ثقته لتلقيهم، وإنزالهم حيث يجب، وتقديم ما يلزمهم من مأوى ومطعم ومشرب وملبس، وألزم كل رجل منهم ناحية من نواحي المدينة، وذكر لنا التاريخ منهم: "يزيد بن أخت النمر، والمُسَوَّر بن مَخْرَمَة، وعبد الرحمن ابن عبد القاري، وعبد الله بن عتبة بن مسعود"، وجعل مهمتهم إغاثة اللاجئين الوافدين، ومتابعة شؤونهم، والقيام على أمورهم وقسمه أطعمتهم وإدامهم بينهم¹⁴⁵.

كما ألزم هذه النخبة المختارة باجتماع يوميٍّ معه، يُطلعونه فيه على ما جرى معهم، ويخبرونه عن أحوال القوم وكلِّ جديد من أخبارهم، وعن كل قادمٍ جديدٍ يقدم، بل عمن يموت منهم.

وامتد عملهم إلى ما بعد انحسار المجاعة، فلما رفع الله المحنة وأزال المجاعة وأذن بالخير والبركة والمطر، وكُلَّ عمر رضي الله عنه كل واحد من هؤلاء النفر الذين ذكرت بناحيتهم يُخرجون الناس إلى البادية ويعطونهم قوتاً وحملانا إلى باديتهم، بل إنَّ عمر كان يخرجهم هو بنفسه. ويحمل الضعيف منهم، حتى لحقوا ببلادهم¹⁴⁶.

فرقة الإحصاء:

وكان من اللازم أن يوصي فريق المتابعة المتقدم ذكره بإحصاء المقيمين والقادمين، فالكُلُّ في هذه المجاعة مصابٌ ومحتاج، ثم إنَّ معالجة هذه الأزمة ما كانت لتتِم دون معرفة أعداد الجوعى في بلادهم، وأعداد القادمين منهم إلى المدينة، وكيف سيتم توزيع المساعدات عليهم دون ضبط أعدادهم؟ الأمر الذي يختل بدونه ميزان العدل والرحمة والتساوي.

وما كان للأربعة أن ينجزوا هذا العمل منفردين، فاستعانوا بعشرات وربما بمئاتٍ من الأعوان، وشكّل كل واحد من الأربعة فريقاً أو فرقاً لمهمة الإحصاء، فقد كانت الأعداد كبيرة جداً، وتلك صورة عن بعض الأعداد ذكرها ابن سعد فقال: "أمر ليلةً بعدما تعشى

¹⁴⁴ [الطبراني: الدعاء، الاستسقاء بالصالحين ص607 : رقم الحديث [2211]، و [الحاكم: المستدرک علی الصحیحین، ذکر إسلام العباس رضي الله عنه ، 409/3: رقم الحديث 5506].

¹⁴⁵ انظر ترجمتهم في (ص 9-10).

¹⁴⁶ تقدم في (ص 12).

الناس عنده بإحصاء من تعشى، فقام أعوانه في الليلة القابلة بإحصائهم فوجدوهم سبعة آلاف رجل، كما أمر بإحصاء العيالات الذين لا يأتون والمرضى والصبيان فأحصوهم فوجدوهم أربعين ألفاً، ثم أمر بإحصائهم بعد ليل فوجدوا من تعشى عنده عشرة آلاف، والآخرين خمسين ألفاً¹⁴⁷.

فرقة العناية بالمرضى:

كما أوصى برعاية ذوي الاحتياجات الخاصة، خاصة المرضى، فقد كانت الأعداد في ازدياد، والأزمة في تفاقم، والمجاعة في شراسة، غير أن عمر رضي الله عنه مع كل ذلك لم ينس المرضى، فوضع لهم برنامجاً خاصاً، كان على معاونيه تنفيذه كل يوم، إذ كان على الطباخين أن يستيقظوا في السحر قبل صلاة الفجر ليُعدوا وجبة خاصة لهم¹⁴⁸.

فرقة الطباخين:

وقد تقدمت الإشارة في السطور السابقة إلى عمليات الطبخ، إذ كان من اللازم أن يكون من ضمن الخلايا العاملة النشطة والفرق المتحركة في هذه الأزمة فرقة الطباخين ومعاونيهم، وهي فرقة كثيرة العدد تضم إلى الطباخين المهرة من يعاونهم في الطبخ وفي جلب الحطب، والماء، وسكب الطعام، وتوزيعه على الفقراء... إلى غير ذلك مما تحتاجه عملية الطبخ، وفي الطبخ الجماعي توفير في الأقوات وعناصر الطبخ، والجهد، مما يساعد في إطالة الصمود في وجه عاصفة المجاعة.

فرقة توصيل المعونات والمساعدات إلى البيوت البعيدة:

وأقصد بذلك أولئك الجوعى المتناثرين في نواحي المدينة وأطرافها البعيدة، ولا يستطيعون حضور مائدة أمير المؤمنين التي يقيمها كل ليلة للاجئين المقيمين في قلب المدينة، وقد كان الخليفة نفسه -رضي الله عنه- أحد أعضائها، فكان يصل إليهم، وربما اصطحب معه بعض الصحابة والمرافقين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "يرحم الله ابن حنتمة! لقد رأيتُه عامَ الرمادة وإنه ليحمل على ظهره جرابين وعُكَّةَ زيتٍ في يده، وإنه ليتعقب هو وأسلم، فلما رأني قال: من أين يا أبا هريرة؟ قلت: قريباً، فأخذتُ عقبه، فحملناه حتى انتهينا إلى صزار.."¹⁴⁹.

فرقة توزيع الغذاء خارج المدينة:

قدمت القول في المطلب الثاني من المبحث الثاني بأن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لم ينس من هم خارج حدود المدينة من المسلمين المتناثرين في سائر جزيرة العرب خاصة تلك البقاع التي اكتوت بنار المجاعة، فأرسل لولائه على الأقاليم البعيدة بالمساندة والمساعدة، وانتدب من يتلقى القوافل ويقوم بالتوزيع، وقد أحجم عن حمل هذه المسؤولية الزبير بن العوام وطلحة بن عبيدالله -رضي الله عنهما-، وقبلها أبو عبيدة أمين هذه الأمة -رضي الله عنه- وقام بها على خير وجه. وقدمت القول قريباً أن عمر ما كان ليقوى على ذلك وحده، ولكن المقبول والمعقول أن يكون قد شكل مجموعات تقوم بالتوزيع وتشرف عليه، وهو معهم يصنع ما يصنعون، ويشرف ويصوب ويوجه.

وإذا كان أبو عبيدة قد تولى مهمة التوزيع في جهته، فإن عمر قد انتدب لكل جهة فريقاً يتولى التوزيع فيها، فكان يبعث لكل قافلة قادمة من يتلقاها عند حدود الجهة القادمة منها، فما جاءه من العراق بعث من لقيته بأفواه الشام¹⁵⁰.

فرقة المساعدات الخارجية:

¹⁴⁷ تقدم في (ص10).

¹⁴⁸ تقدم في (ص10).

¹⁴⁹ تقدم في (ص11).

¹⁵⁰ انظر ابن سعد، الطبقات الكبرى (ج 3/311).

وهي ليس بفرقة على المعنى الدقيق نظرًا لتفرق أفرادها وتباعد أعضائه من أمراء الولايات التي تتبع لدولة الخلافة، ومنهم: أبو موسى الأشعري في البصرة، ومعاوية بن أبي سفيان في الشام، وسعد بن أبي وقاص في العراق، وعمرو بن العاص في فلسطين ومصر - رضي الله عنهم -، وكذلك سائر أمراء الولايات الإسلامية يومها.

فقد انتدبهم خليفة المسلمين يومها للعمل على إغاثة المسلمين المتضررين من المجاعة، ولتقديم كل عون ممكن، على الرغم من بعد المسافات، ووعورة الطريق، وما كان أحدهم ليتأخر أو يتقاعس أو ليبخل عن إخوانه المسلمين في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما حولها من جزيرة العرب.

وقد استجابت هذه الفرقة بأفرادها المتبايعين سريعًا لطلب أمير المؤمنين رضي الله عنه، فتولت المساعدات على نواحي الجزيرة، لا مرة بل مرات، كلٌّ يدفع بما يستطيعه ويقدر عليه.

هذه بعض الفرق التي يمكنني القول بأن عمر رضي الله عنه قد شكّلها لمعاونته زمن المجاعة، وأجزم أيضًا أنه لم يترك بابًا من أبواب التدبير إلا وُلجّه، ولا ثغرة يمكن أن يستعين عليها بالرجال المناسبين إلا وشحنها بهم، وشكّل منهم فريقًا لحلها وتدبر أمرها، فهذا دأب العقلاء، وسبيل أهل التدبير والحنكة.

خاتمة:

فإنّ من فضل الله أن يسر لي الكتابة في هذا الموضوع الغني بمعلوماته، الغزير بنصوصه، غير أنّه لا بد في خاتمته من ذكر بعض النتائج التي يمكن استنباطها وفيها فائدة وعبرة، وأهمها:

- 1- إنّ كثيرًا من الأزمات التي يمر بها العالم عامة، والمسلمون خاصة، يمكن تجاوزها بالتخطيط الجيد والاستعداد المبكر.
- 2- تتحمل الحكومات والسلطات التنفيذية المسؤولية الكبرى في مواجهة المجاعات ومثيلاتها من الأزمات التي تفتك بالناس بين الحين والآخر.
- 3- في غالب الأحيان لا يمكن النجاة من مضار المجاعات بصورة شاملة شافية، لكن يمكن التخفيف من آثارها السيئة، وتقليل عدد الجوعى والموتى والمتضررين منها، وذلك من خلال جملة من التدابير التي على الدولة اتخاذها بمعاونة الناس جميعًا.
- 4- إنّ التعاون بين الشعب والحاكم، يقي الشعب كثيرًا من سيئات المجاعات والنوازل. كما أنّ صدق الحاكم وثقة الناس فيه واطمئنانهم إليه، يعتبر من أهم المقومات لدحر المجاعات.
- 5- إنّ تضافر الجهود بين الدول الإسلامية، أو بين دول العالم كله، وتقديم العون السريع، يشكل واقياً وحامياً من كل المجاعات والحروب والكوارث التي يتعرض لها الناس جميعًا.
- 6- إنّ معرفة الفضل لأهل الفضل، وتقديم الصالحين والعلماء في المواقع والمواقف التي يجب أن يكونوا بها أولاً من الأمور التي تساعد في كشف الكُربِ والأزمات.
- 7- إنّ للشعوب، وخاصة الأغنياء فيها، دورًا عظيمًا في دفع شبح المجاعات عن الناس، وإنقاذ الآلاف بل الملايين من عائلة الموت والمرض، بما يقدمونه مما يزيد عن حاجاتهم.
- 8- وضع الأمور في نصابها، وتقديرها بقدرها من أعظم الخطوات التدبيرية المساعدة في تجاوز المجاعات، كما أن عدم التبذير والإسراف يساعد على ذلك.

توصيات:

وفي ختام بحثي هذا، أرى أنه لا بد من بعض التوصيات ومنها:

- 1- إنَّ مثل هذا الموضوع بحاجة إلى دراسات أشمل وأوسع، ولهذا أوصي أن يكون هذا الموضوع مجال بحثٍ لرسالة ماجستير أو دكتوراة.
 - 2- أن يتم تناول هذا الموضوع بصورة عامة، لا خاصة مقتصرة على عام الرمادة فحسب، فالمجاعات عبر التاريخ كثيرة وأساليب محاربتها متعددة، وقد يزيد بعضهم على بعض في مواجهتها، فلا بد من تجميع التجارب البشرية لاستكمال وسائل المواجهة.
 - 3- لزوم توجيه الأبحاث نحو دراسة الأزمات الأخرى وطرق مجابقتها، حتى لا تقع والناس في غفلة لا يدرون ما يفعلون.
 - 4- لا بد من زيادة الوعي عند الناس حكماً ومحكومين حول هذه الأزمات وطرق مواجهتها. وكذلك زرع بذور المحبة والتراحم بين الناس، حتى يكون دافعهم ذاتياً في محاربة الأزمات إذا حلت.
- وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

- الأجري، محمد بن الحسين. (1999م). *الشرعية*. تحقيق: عبد الله الدميجي. ط 2. الرياض: دار الوطن.
- آل الشيخ، صالح بن عبد العزيز. (د. ت). *إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل = شرح العقيدة الطحاوية للإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي*. د. ط. د. ب. د. ن. / ضمن المكتبة الشاملة.
- آل عيسى، عبد السلام بن محسن. (2002م). *دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية رضي الله عنه*. ط 1. المدينة المنورة. عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.
- الأزهري، محمد بن أحمد. (2001م). *تهذيب اللغة*. تحقيق: محمد عوض مرعب. ط 1. بيروت. دار إحياء التراث العربي.
- الأصفهاني، أحمد بن عبد الله. (1974م). *حلية الأولياء وطبقات الأصفياء*. د. ط. القاهرة. السعادة.
- الألباني، محمد ناصر الدين (1985م). *إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل*. إشراف: زهير الشاويش. ط 2. بيروت. المكتب الإسلامي.
- الألباني، محمد ناصر الدين. (1992م). *سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة*. ط 1. الرياض. دار المعارف.
- ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم محمد. (1997م). *الكامل في التاريخ*. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. ط 1. بيروت. دار الكتاب العربي.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. (1989م). *الأدب المفرد*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. ط 3. بيروت. دار البشائر الإسلامية.
- البخاري، محمد بن إسماعيل. (1987م). *صحيح البخاري = الجامع الصحيح المختصر*. تحقيق: مصطفى ديب البغا. ط 3. اليمامة- بيروت. دار ابن كثير.
- البُستي، محمد بن حبان. (1988م)، *الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان*. ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (ت 739 هـ). تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط 1. بيروت. مؤسسة الرسالة.
- البوصيري، أحمد بن أبي بكر (1403هـ). *مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه*. تحقيق: محمد المنقعي الكشناوي. ط 2. بيروت. دار العربية.
- البيهقي، أحمد بن الحسين (1988م). *دلائل النبوة*. تحقيق: عبد المعطي قلعي. ط 1. بيروت. دار الكتب العلمية، دار الريان للتراث.
- البيهقي، أحمد بن الحسين. (1344هـ). *السنن الكبرى وفي نيله الجوهر النقي*. ط 1. حيدر آباد/الهند. مجلس دائرة المعارف النظامية.
- البيهقي، أحمد بن الحسين. (1412هـ). *معرفة السنن والآثار*. تحقيق: عبدالمعطي قلعي. ط 1. دمشق- بيروت- حلب- المنصورة. دار قتيبة، دمشق- بيروت، دار الوعي، حلب- دمشق، دار الوفاء، المنصورة.
- الترمذي، محمد بن عيسى. (1998م). *سنن الترمذي*. تحقيق: بشار عواد. د. ط. بيروت. دار الغرب الإسلامي.
- تمام الرازي، تمام بن محمد. (1412هـ). *الفوائد*. تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي. د. ط. الرياض. مكتبة الرشد.
- الجزري، أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير. (1979م). *النهاية في غريب الحديث والأثر*. تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي. د. ط. بيروت. المكتبة العلمية.
- الجوهري، إسماعيل بن حماد (1987م). *الصاحح تاج اللغة وصاحح العربية*. تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار. ط 4. بيروت. دار العلم للملايين.

- الحاكم النيسابوري، محمد بن عبد الله. (1997م). *المستدرك على الصحيحين*. تحقيق: مقبل بن هادي الوادعي. د.ط. القاهرة. دار الحرمين.
- الحري، إبراهيم بن إسحاق. (1405هـ). *غريب الحديث*. تحقيق: سليمان إبراهيم محمد العايد. ط1. مكة المكرمة. جامعة أم القرى.
- الحلي، علي بن إبراهيم. (ت1427هـ). *السيرة الحلبية = إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون*. ط2. بيروت. دار الكتب العلمية.
- الخرائطي، محمد بن جعفر. (1999م). *مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها*. تحقيق: أيمن عبد الجابر البحيري. ط1. القاهرة. دار الآفاق العربية.
- ابن خزيمة، محمد بن إسحاق. (د.ت). *صحيح ابن خزيمة*. تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي. د.ط. بيروت. المكتب الإسلامي.
- الدينوري، أحمد بن مروان. (1419هـ). *المجالسة وجواهر العلم*. تحقيق مشهور بن حسن آل سلمان. د.ط. بيروت. جمعية التربية الإسلامية (البحرين - أم الحصم)، دار ابن حزم (بيروت).
- الذهبي، محمد بن أحمد. (1993م). *تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام*. تحقيق: عمر عبد السلام التدمري. ط2. بيروت. دار الكتاب العربي.
- الزبير، مصعب بن عبد الله. (د.ت). *نسب قريش*. تحقيق: ليفي بروفنسال. ط3. القاهرة. دار المعارف.
- الزحيلي، وهبة. (د.ت). *الفقه الإسلامي وأدلته*. ط4. سورية. دار الفكر.
- الزمخشري، محمود بن عمرو. (د.ت). *الفائق في غريب الحديث والأثر*. تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم. ط2. لبنان. دار المعرفة.
- ابن زنجويه، حميد بن مخلد (1986م). *الأموال*. تحقيق شاكر ذيب فياض. ط1. السعودية. مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية.
- سابق، سيد. (2004م). *فقه السنة*. ط1. مصر. دار الفتح للإعلام العربي.
- السجستاني، سليمان بن الأشعث. (د.ت). *سنن أبي داود*. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد - د.ط. بيروت. دار الفكر.
- سعيد بن منصور، سعيد بن منصور بن شعبة. (1414هـ). *سنن سعيد بن منصور*. تحقيق: سعد بن عبد الله بن عبد العزيز آل حميد. ط1. الرياض. دار العصيمي.
- السلمان، عبد العزيز المحمد. (1406هـ). *إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد*. ط1. الرياض. مطابع الخالد.
- ابن سعد، محمد بن سعد. (1968م). *كتاب الطبقات الكبرى*. تحقيق: إحسان عباس. ط1. بيروت. دار صادر.
- الشنقيطي، محمد بن محمد المختار. (د.ت). *شرح زاد المستقنع*. دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية/ ضمن المكتبة الشاملة.
- الشيبياني، أحمد بن محمد بن حنبل. (2003م). *الزهد*. تحقيق: يحيى بن محمد سوس. ط2. د.ب. دار ابن رجب.
- الشيبياني، أحمد بن محمد بن حنبل. (2001م). *مسند الإمام أحمد بن حنبل*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون. ط1. بيروت. مؤسسة الرسالة.
- الصفدي، خليل بن أبيك. (1987م). *تصحيح التصحيف وتحرير التحريف*. تحقيق السيد الشراقوي. ط0. القاهرة.
- الصفدي، خليل بن أبيك. (2000م). *الوافي بالوفيات*. تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى. د.ط. بيروت. دار إحياء التراث.
- الصنعاني، عبد الرزاق بن همام. (1403هـ). *المصنف*. تحقق: حبيب الرحمن الأعظمي. ط2. بيروت. المكتب الإسلامي.
- الضياء المقدسي، محمد بن عبد الواحد. (2000م). *الأحاديث المختارة أو المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما*. تحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش. ط3. بيروت. دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الطبراني، سليمان بن أحمد. (1413هـ). *الدعاء*. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. ط1. بيروت. دار الكتب العلمية.

- الطبري، محمد بن جرير. (1387هـ). *تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك*. ط2. بيروت. دار التراث.
- الطحاوي، أحمد بن محمد. (1415هـ). *شرح مشكل الآثار*. تحقيق: شعيب الأرنؤوط. ط1. بيروت. مؤسسة الرسالة.
- العبيسي، عبد الله بن محمد بن أبي شيبه. (1409هـ). *الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار*. تحقيق: كمال يوسف الحوت. ط1. الرياض. مكتبة الرشد.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. (1415هـ). *الإصابة في تمييز الصحابة*. تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض. ط1. بيروت. دار الكتب العلمية.
- العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر. (1379هـ). *فتح الباري شرح صحيح البخاري*. رقم أحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي. أشرف على طبعه: محب الدين الخطيب. تعليق عبد العزيز بن عبد الله بن باز. د.ط. بيروت. دار المعرفة.
- ابن العديم، عمر بن أحمد. (د.ت). *بغية الطلب في تاريخ حلب*. تحقيق: سهيل زكار. د.ط. بيروت. دار الفكر.
- ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله. (1995م). *تاريخ مدينة دمشق*. تحقيق: عمرو بن غرامة العمروي. د.ط. بيروت. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (د.ت). *كتاب العين*. تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي. د.ط. د.ب. دار ومكتبة الهلال.
- القرضاوي، يوسف. (2013م). *فقه الزكاة*. ط25. القاهرة. مكتبة وهبة.
- قطب، محمد. (1992م). *شبهات حول الإسلام*. ط22. القاهرة. دار الشروق.
- ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري. (1397هـ). *غريب الحديث*. تحقيق: عبد الله الجبوري. ط1. بغداد. مطبعة العاني.
- ابن القطاع، علي بن جعفر السعدي. (1983م). *كتاب الأفعال*. ط1. بيروت. عالم الكتب.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر. (2003م). *البداية والنهائية*. تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط1. د.ب. دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
- مالك، مالك بن أنس الأصبحي. (1994م). *المدونة*. د.ط. بيروت. دار الكتب العلمية.
- مالك، مالك بن أنس الأصبحي. (2007م). *الموطأ*. ط1. د.ب. دار النقوى.
- المزي، يوسف بن عبد الرحمن، أبو الحجاج. (1980م) *تهذيب الكمال في أسماء الرجال*. تحقيق: بشار عواد معروف. ط1. بيروت. مؤسسة الرسالة.
- مسلم، مسلم بن الحجاج النيسابوري. (د.ت). *صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. د.ط. بيروت. دار إحياء التراث العربي.
- المطهر المقدسي، المطهر بن طاهر. (د.ت). *البدء والتاريخ*. د.ط. بور سعيد/ مصر. مكتبة الثقافة الدينية.
- المنيع، عبد الله بن سليمان. (د.ت). *بحث في تحويل الموازين والمكاييل الشرعية إلى المقادير المعاصرة*. د.ط. د.ب. دن/ضمن المكتبة الشاملة.
- ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني. (د.ت). *سنن ابن ماجه*. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. د.ط. مصر. دار إحياء الكتب العربية.
- ابن منجويه، أحمد بن علي الأصبهاني. (1407هـ). *رجال صحيح مسلم*. تحقيق: عبد الله الليثي. د.ط. بيروت. دار المعرفة.
- ابن منظور، محمد بن مكرم. (1414هـ). *لسان العرب*. ط3. بيروت. دار صادر.
- النسائي، أحمد بن شعيب. (1986م). *المجتبى من السنن = السنن الصغرى*. تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة. ط2. حلب. مكتب المطبوعات الإسلامية.
- النمري، يوسف بن عبد الله. (2000م). *الاستنكار*. تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض. ط1. بيروت. دار الكتب العلمية.

النمري، يوسف بن عبد الله. (1992م). الاستيعاب في معرفة الأصحاب. تحقيق علي محمد البجاوي. ط1. بيروت. دار الجيل.

النمري، يوسف بن عبد الله. (1387هـ). التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد. تحقيق: مصطفى العلوي ومحمد البكري. د.ط. المغرب. وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية.

النمري، يوسف بن عبد الله. (1994م). جامع بيان العلم وفضله. تحقيق: أبي الأشبال الزهيري. ط1. السعودية. دار ابن الجوزي.

النميري، عمر بن شبة. (1417هـ). تاريخ المدينة المنورة. تحقيق: علي دندل وياسين بيان. د.ط. بيروت. دار الكتب العلمية.

الهروي، القاسم بن سلام. (د.ت). الأموال. تحقيق: خليل محمد هراس. د.ط. بيروت. دار الفكر.

هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية. (د.ت). أبحاث هيئة كبار العلماء. د.ط. السعودية. موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء/ضمن المكتبة الشاملة.

الهيتمي، أحمد بن محمد بن حجر. (1417هـ). الصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة. تحقيق: عبد الرحمن بن عبد الله التركي وكامل محمد الخراط. ط1. بيروت. مؤسسة الرسالة.

ياقوت الحموي، ياقوت بن عبد الله. (1995م). معجم البلدان. ط2. بيروت. دار صادر.

المواقع الإلكترونية:

www.AL-QABABNH.COM -